الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

فرع الفلسفة

مذكرة تخرج مقدمة لنيل ماستر في علم فلسفة العلوم موسومة بـ:

التصور البرجماتي للحقيقة ـ وليام جيمس ـ أنموذجا

إعداد الطلبتين:

- رابح فاطمة
- ساكتة فاطمة

إشراف الأستاذ:

بن سليمان عمر

أعضاء لجنة المناقشة

الإستاذ : كورتالي نور الدين	رئيسا
الإستاذ : بن سليمان عمر	مشرفا
الدكتور : لكحل فيصل	مناقشا

السنة الجامعية: (1435ـ1436 هـ / 2014 ـ2015 م)

مقدمة:

تعتبر الحقيقة مطلباً إنسانياً ، فالكل يبحث عنها و ينشد الوصول إلى تحقيقها ، أما الفلسفة فكانت سابقة إلى إحاطة الحقيقة بالأسئلة ، التي ظل الفكر الفلسفي يبحث لها عن إجابة منذ حقب طويلة من الزمن إلى وقتنا الحاضر ، سواء كانت هذه الأسئلة لها علاقة بوجودها أو بطبيعتها أو بقيمتها ، ولقد أثارت مشكلة مفهومها كمضمون واحد وثابت بعيداً عن الحقائق الجزئية في هذا المجال أو ذاك جدلاً كبيراً بين الفلاسفة ، حيث تعددت تأويلاتهم لتصورها واختلفت بإختلاف نزعاتهم و إتجاهاتهم .

لكن وبالرغم من إختلاف نظرتهم وتفسيرهم لها ، وبالرغم من تعدد المفاهيم التي أعطيت ، إلاّ أننا نلاحظ أن كل الفلاسفة ومنذ أفلاطون تناولوا المسألة من وجهة نظر معرفية وإستمرت هذه النظرة إلى حدود الفلسفة المعاصرة ، التي عرفت ظهور العديد من الفلسفات الإنسانية وكان على رأسها الفلسفة البرجماتية، و هي عبارة عن بلورة فلسفية حديثة ناضجة لأفكار قديمة سبق و أن توصل لها الإنسان ، لتعطيها الصياغة الجديدة دفعة تطبيقية و نقدية تؤدي للمزيد من التطوير والتنقيح لها ، أما عن ظهور هذه الفلسفة فكان في منتصف القرن التاسع عشر على يد الفيلسوف الأمريكي " تشارلز بيرس" (1839 – 1914م) الذي إستخدم المصطلح عام 1878م في مقال بمجلة علمية بعنوان " كيف نوضح أفكارنا " و يذهب " بيرس" في هذا المقال إلى أن صحة القضية تتحدد بالسلوك والنتائج التي يمكن أن تترتب على تطبيقها ، فالسلوك هو المعني والمعيار الوحيد للقضية. وعُرفت البرجماتية بشكل واسع على يد الفيلسوفين :"ويليام جيمس" الذي يُعد من أكبر دعات الفلسفة البرجماتية فإذا كان "بيرس" مؤسس هذه الفلسفة وواضع أصولها وركائزها، فإن "جيمس" هو رسول "بيرس" في نشر أفكارها بين العامة والخاصة ، وكذلك الفيلسوف الأمريكي الآخر"جون ديوي" وهو الاب الروحي للبرجماتية ، وهذا ولم يتوقف المذهب على هؤلاء الفلاسفة بل مثلها من بلدان أخرى فلاسفة أمثال الفيلسوف البريطاني "فرديناند شيلر" ، والفرنسي " لروا " والإيطاليين " بابيني " و " برتيسيوني " .

ربطت البرجماتية بين الفكر والعمل ، ونادت بالقول أن قيمة أي فكرة تكمن في فائدتها العملية والجديد في هذا المبدأ هو وضع الفائدة العملية في المقام الأول ، ويبدو لهذا المبدأ الذي وضعه "بيرس" كمبدأ رئيس من مبادئ وضوح الفكر ومعناه ، نتيجة منطقية لإنعدام الحس التاريخي لدى الشعب الأمريكي ، الذي يحاول أن يكون صانع مستقبل كحالة تعويضية عن فقدانه الجذر التاريخي، فأمريكا تحاول أن تؤصل حاضرها تجاه الماضي الأصيل للشعوب الأخرى ، ولا سبيل أمامها لتحقيق هذا الهدف سوى بناء قاعدة معرفية تنطلق منها ، وقد شكلت برجماتية " بيرس " تلك القاعدة التي استقرأت حقيقة تفكير الإنسان الأمريكي ، الذي لا يسأل عن النشأة – الماضي – بقدر ما يسأل عن النتيجة – المستقبل- وقد أصبحت هذه القاعدة هي الميزة الأساسية التي تميز الفكر الأمريكي الذي يركز على المنفعة في الأفكار والنظريات مهما تكن هذه الأفكار ، إذ الغاية والنجاح هما الحكم والفيصل في قياس مدى أهمية الفكرة ونفعها والنتائج المتمخضة عنها ، ليحتل هذا الفكر بعد ذلك السيطرة المطلقة على الأسس التي اِنبنى عليها الفكر السياسي والاستيراتيجي للولايات المتحدة الأمريكية ، وعاملاً مهماً في بناء الإمبراطورية الأمريكية المعاصرة ، وذلك لإختلاف البرجماتية عن غيرها من الفلسفات في تصورها لمعنى الحقيقة ومعيارها ، حيث يكمن جوهر الحقيقة لديها في اِستعمالها كمرشد للأعمال ، ويتم ذلك من خلال نتائج هذه الفلسفة العملية والتجريبية ، وإن السعي وراء الحقيقة والمعرفة محور نشاطات الإنسان المختلفة .

أهمية الدراسة ودواعي الإِختيار:

تكمن أهمية دراسة التصور البرجماتي للحقيقة ، في كون أن الحقيقة من أهم و أبرز المفاهيم الفلسفية التي شغلت تفكير الفلاسفة و المفكرين بمختلف تياراتهم ، واِتجاهاتهم الفكرية ، مما جعل منها مطلباً إنسانياً ، فالكل يبحث عنها والكل يسعى للوصول إليها ، كما تعتبر غاية كل بحث إنساني ، الأمر الذي يجعل منها مفتاح جميع المشاكل الفلسفية ، وهذا ما يفرض علينا ضرورة التأصيل والتقعيد لذات المفهوم اِنطلاقا من الفلسفة البرجماتية ، التي تعد من أهم الفلسفات التي ظهرت في الولايات المتحدة الأمريكية لتعبيرها عن واقع المجتمع الأمريكي ونجاح أفراده في التكيف مع

البيئة الجديدة ، التي إنتقلوا إليها منذ إكتشاف أمريكا ونزولهم إليها ، ومحاولة مواجهة الظروف الطبيعية والبيئية الصعبة والتغلب عليها وتحويلها إلى أدوات أدت إلى هذا التقدم الهائل الذي تشهده الآن الولايات المتحدة الأمريكية كما أنها سعت باستمرار إلى التطور والتجديد والنظر دائماً إلى المستقبل والبحث عن عوامل النجاح فيه ، ليكون هذا واحداً من أهم الأسباب ودواعي البحث و أهمية المعاصرة التي دفعت بنا لإختيار هذا الموضوع ، هذا ومن جهة أخرى الإنتشار الكبير لهذه الفلسفة في عالم اليوم شرقه وغربه ، إذ أصبح إنسان اليوم في كل بدان العالم تقريباً ، إنساناً براجماتياً مادياً نفعياً بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، فهو لم يعد يستهدف من أي سلوك أو من أي فعل قيمة أخلاقية أو دينية بل أصبح كل همّه السؤال عن النتائج العملية والمفيدة التي ستترتب على هذا السلوك ، فواقعية هذا الفكر المعاصر كانت واحدة من الأسباب التي جعلت هذا الموضوع محطة إختيار فضلاً عن الرغبة الشخصية بدراسة الفلسفة البرجماتية وتصورها لمعنى ومعيار الحقيقة .

الإشكالية :

تقوم دراسة الإشكالية حول البحث في الحقيقة عند البرجماتيين كمضوع يستدعي الإهتمام أكثر من جوانب المنهجية والعلمية للتعامل مع الأوضاع الإجتماعية وغيرها ، وهذا سنكتشفه من خلال الأعمال التي تعرض لها رواد المدرسة البرجماتية على رأسهم " ويليام جيمس" والذين حاولوا التعامل مع الحقائق المؤدية إلى بلوغ الأهداف العملية ، ومدام أنه لا يمكن إنجاز أي عمل دون الوصول إلى طرح الإشكالية التي تتناسب مع أهداف الموضوع وعليه فضلنا أن تكون الإشكالية : هل الجانب العملي كافي وحده في نظر " جيمس " لبلوغ الحقيقة ؟ ، ويندرج تحت هذا التساؤل أسئلة فرعية وهي ما معنى البرجماتية ؟ وكيف نشأت وهل لها عمق فلسفي تاريخي في الفلسفة الإغريقية ؟ أم أنها نشأت بالمصادفة المجردة في الولايات المتحدة الأمريكية ؟ وما سر نجاحها في أمريكا ؟ومن رواد هذه الفلسفة ؟ وكيف إستخدموها هل بنسق واحد أم هناك تعدد وإختلاف في إستخدامها ؟ وماذا أضافت برجماتية " جيمس " إلى مسألة الحقيقة ؟ وماهي نظرية معنى الحقيقة عنده ؟

فرضية الدراسة :

أعددنا الموضوع وفق فرضية مفادها أن البرجماتية مهما كانت فكرة أو سلوكاً أو أخلاقاً ، تعتبر فكرة تخدم الإنسان والمجتمع ، ومن خلال بحثنا نأمل الوصول إلى تحديد معنى مصطلح البرجماتية وحدودها وأهدافها و أهم روادها ، وتبيان معنى الحقيقة ومعاييرها عند البرجماتيين وعند " ويليام جيمس " على وجه الخصوص ، وتأثير هذه الفلسفة على المجتمع وأهم الإنتقادات التي وجهت إليها ، وبالتالي تم توزيع الموضوع وفق فرضية الدراسة التي جاءت كالتالي: مقدمة ، ثلاثة فصول –كل فصل يحتوي على مبحثين– ، وخاتمة .

ففي المقدمة قمنا بإيضاح أهمية مسألة الحقيقة و تطرقنا إلى الفلسفة البرجماتية وبيّنا معناها وظهورها وحدودها وأهدافها ، ثم أشرنا إلى المنهجية المعتمدة والإشكالية والفرضية التي أقمنا عليها الدراسة إلى جانب الأهمية .

وتناولنا في الفصل الأول كرونولوجيا المفهوم (البرجماتية) عرفنا البرجماتية لغة واصطلاحاً وذكرنا خصائصها ومبادئها ونشأتها وجذورها الفلسفية القديمة كما ذكرنا أهم روادها وإنتاجهم العلمي وفلسفاتهم مع تعريفهم للبرجماتية .

أما الفصل الثاني فحمل عنوان " الحقيقة البرجماتية عند جيمس " ووضحنا فية المعنى الاصطلاحي للحقيقة و تصورها من قبل البرجماتيين ومن ثم تصورها عند ويليام جيمس من ناحية المعنى والمعايير التي وضعها للحقيقة كما أشرنا إلى الحقيقة الدينية عنده من إرادة الاعتقاد إلى التجربة الدينية وموقفه من وجود الله . والفصل الثالث كان عبارة عن مناقشة للفلسفة البرجماتية و الإشارة لأهم الإنتقادات التي وجهت لها من منظورها الفلسفي والديني ، وختمنا بحثنا بخاتمة جاء فيها أهم النتائج التي توصلنا إلينا من إعدادنا لهذا البحث .

المنهجية :

سنتناول منهجية الدراسة على ضوء ما يثيره موضوع الحقيقة البرجماتية لهذه الأسباب سنكون ملزمين بتوضيف أكثر من منهج لنتمكن من الإِحاطة بجوانب الموضوع المتشعبة بدءاً بالمنهج التكاملي

ذلك لدراسة ووصف وتحليل البرجماتية كفكر ، إلى جانب المنهج التحليلي إذْ بواسطته نحلل المفهوم وصولاً إلى المنهج المقارن الذي يمكننا من معرفة مدى أهمية المذهب البرجماتي وتأثر العديد من المجتمعات به كونه يحتوي مجال آخر و المتمثل في الحقيقة.

الدراسات السابقة :

بحثنا وتنقيبنا لم يمكننا من إدراك إلاّ بعض الأعمال التي لم تخرج عن المقالات الأكاديمية والمواضيع السياسية بصفة عامة ، وذلك لم يمنعنا من العثور على بعض المؤلفات الغربية التي خاضت في الموضوع نذكر منها دراسة "تشارلز موريس": " رواد الفلسفة البرجماتية " ، و "رالف بارتون بيري " "أفكار وشخصية ويليام جيمس ".وغيرهم .

أما عند المفكرين العرب والمسلمين فيبدوا وكأن الأمر ممنوعاً أو غير مفكر فيه أو إلحاداً .

الصعوبات :

ومدام كل بحث لايخلو من الصعوبات فلقد واجهتنا مجموعة منها والتي تمثلت في : أولاً إفتقار المكتبة من المصادر والمراجع التي تخص الموضوع ، بإعتبار الموضوع لم يسبق له و أن أقبل عليه ، إلى جانب ضيق الوقت ، ورغم ذلك إجتهدنا و قدمنا هذا العمل المتواضع .

المبحث الاول : مفهوم البرجماتية

أولاً / تعريف البرجماتية لغةً واصطلاحاً :

البرجماتية كلمة يعود أصلها اللغوي إلى الكلمة اليونانية (pragma) وتعني العمل ، النشاط والفعل [1] ، وقد اِستعار الرُومان المصطلح واِستخدموا عبارة (progmaticas) وقصدوا بها "التمرس" خاصة في المسألة القانونية ، وتترجم إلى العربية بمصطلح " الذرائعية "، و هذه الترجمة غير دقيقة لأنها لا تعكس جوهر الكلمة الأجنبية بل تقدم جزء من معناها فقط ، والمصطلح الأقرب إليها هو "النفعية" لأنها تدعوا إلى تحقيق الأفكار الفلسفية في الواقع اِستناداً إلى مدى ما في هذه الأفكار من منافع تعود للإنسانية ، فكل فكرة لا يمكن تحقيقها ولا يمكن جني النفع المادي من ورائها لا تعتبر فكرة حقيقية ، وكل قضية لا يلمس بها نفع حقيقي محسوس فهي قضية كاذبة .

أما اصطلاحا فهي مذهب فلسفي يقرر أن العقل لا يبلغ غايته إلاّ إذا قاد صاحبه للعمل الناجح والفكرة الصحيحة هي الفكرة الناجحة أي الفكرة التي تحققها التجربة، فكل ما يتحقق بالفعل هو حق [2].

جاء تعريفها في المعجم الفلسفي بأنها مذهب يرى أن معيار صدق الآراء والأفكار إنما هو في قيمة عواقبها عملاً ، وأن المعرفة أداة لخدمة الحياة وأن صدق قضية ما هو كونها مفيدة ، فالبراجماتي بوجه عام وصف لكل من يهدف إلى النجاح أو إلى المنفعة الخاصة [3] ، ومن هذا التعريف نجد أن مؤسسها "بيرس" أخذ هذا المصطلح من الفيلسوف الألماني " كانط " [4] ، حيث ميز هذا الأخير بين ما هو عملي وما هو براجماتي ، وعرض هذا في كتابه " ميتافيزيقا الأخلاق " لما جعل ما ينطبق على القوانين الأخلاقية عملياً ، وما ينطبق على قواعد الفن براجماتي ، ولقد أراد " بيرس" من اِستعمال هذا اللفظ الكانطي تعديل الوجود بِاستخدام المفاهيم والآراء لتغيير المواقف التي تواجهنا في خبرتنا .

---

[1]- الرئيس شارل الحلو :موسوعة أعلام الفلسفة العرب والأجانب ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ج1،ط1، 1992م،ص 279.

[2]- صليبا جميل : المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، دمشق ، ج1، ط1،1982م ،ص203.

[3]- مذكور إبراهيم : :المعجم الفلسفي ، مجمع اللغة العربية ،القاهرة ، مصر ، دط ،1983م ، ص32.

[4]- الجراد خلف : معجم الفلاسفة المختصر ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،لبنان، ط1، 2007، ص71.

فالبرجماتية لا تعنى بالنظر إلى مبادئ الأمور و لا تبحث عن أسباب نشأتها ولا إلى ماذا سيكون مصيرها بل تعنى فقط بالنتائج الفعلية النافعة المترتبة عن تلك الأمور اذ يقولون أن الذي يحدد الفكرة ليس هو مقوماتها بل يحددها ما تستطيع أن تفعله في دنيا الأشياء فالفكرة كمفتاح الباب مثلاً ، ليس المهم فيه أن يكون مصنوعاً من حديد أو من خشب ، بل المهم فيه هو أن يفتح الباب المغلق ، فإذا لم ينفتح به الباب لم يكن مفتاحاً مَهْماَ اتخذ لنفسه من صور المفاتيح[1].

المصطلح من الناحية الفكرية يشير أن جوهر البرجماتية يتلخص بالعبارات التالية : الإنسان مكره على العيش في عالم لا عقلاني يتعذر فهمه ، وأن كل محاولاتنا لإدراك الحقيقة الموضوعية ستبوء بالفشل لذا يجب النظر إلى مختلف النظريات العلمية وإلى الأفكار الإجتماعية والقيم الأخلاقية نظرة "أداتيه" أي من وجهة نظر منفعتها في تحقيق أهدافنا ، فيما ينفع النّاس وما يعود عليهم بالنجاح هو الصحيح وهو اليقين .

لم يتوقع "بيرس" النجاح الكبير الذي سيلاقيه هذا المذهب الجديد الذي عبر عنه ، حيث ظل مدة عشرين عاماً مهملاً، حتى بعثه الفيلسوف " ويليام جيمس " من مرقده ونشره على النّاس في مؤلفاته حتى أصبحت البرجماتية لفظة تتردد في الأوساط الثقافية في كل مكان في العالم[2] ، وأصبح مذهب "بيرس" وما أدخله عليه "ويليام جيمس " وما أضاف عليه " جون ديوي " من أشهر الحركات الفلسفية في هذا العصر .

هؤلاء الأعلام الثلاثة الذين قاموا بحمل الفلسفة البرجماتية على كواهلهم ، كان لكل واحد منهم لوناً يميزه عن الآخر ، وإن اتفقوا في أصلها الذي يقوم على أن معيار صدق الفكرة إنما يكون من خلال ما ينتج عنها من نتائج ملموسة .

[1]- نجيب زكي محمود : نافذة على فلسفة العصر، مطبعة حكومة الكويت ، الكويت ، دط، 1990م ، ص 131.

[2]– نجيب زكي محمود : قصة الفلسفة الحديثة ،دار المعارف ، مصر ،ط5،1969 ،ص417.

ثانيا / مبادئ و أنواع البرجماتية :

أبرز مبادئ الفلسفة البرجماتية من خلال إستقراء مقولات رُوادها ، وما كُتب عنها من مؤلفات تم الرجوع إليها عند إعداد هذا البحث :

1- القول بالنسبة و إنكار الحقائق المطلقة ، والقيم الثابتة حيث ترفض البرجماتية كل شكل من أشكال المطلق أو الثابت ، فمن أبرز ما يميز البراجماتي أنه لا يعترف بالمقولات الخالدة ، التي تتسم بالثبات والإطلاق ، إلاّ ما ارتبط بالتجربة المفيدة للفرد .

يرى "بيرس" أن طرائق الميتافيزيقيين في الاستنباط تصطنع على أساس فروض من عندهم ويصلون به إلى براهين يصفونها بالصواب ، الذي لا يتعرض للتعديل ، على ضوء ما قد تكشف عنه البحوث العلمية[1] ، يقول "جيمس" : " **إن البرجماتي يولي ظهره بكل عزم وتصميم –إلى غير رجعه– لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترمين ، إنه ينأى بعيداً عن التجريد وعن عدم الكفاية وعن الحلول الكلامية ، وعن التحليلات القبلية وعن المبادئ الثانية وعن ضروب المطلق والأصول المزعومة وهو يولي وجهه .... شطر الحقائق والوقائع و شطر العمل والأداء والمزاولة وشطر القوة** "[2].

2- تنظر الفلسفة البرجماتية إلى المنفعة بإعتبارها هي المعيار الذي يحاكم إليه صدق الأفكار والقيم بل وكل شيء ، حيث يمكن القول أنها إغراق في النفعية المادية ، يقول "جيمس" : "**إن صدق الفكرة يقاس بمدى ما تحققه من قيم فورية منصرفة** ..." ، وقد قصد "جيمس" من ذلك التأكيد على الدور المؤثر الذي ينبغي أن تلعبه الأفكار والمعتقدات في حياتنا العلمية ، إن هذه الأفكار أو النظريات ينبغي في نظره أن تصبح أدوات ووسائل يمكننا بواسطتها أن تتحرك إلى الأمام ، ونمضي

[1]- نجيب محمود زكي : من زاوية فلسفية ، دار الشروق ،بيروت ، لبنان ، ط4 ،1993م ، ص204.

[2]- ويليام جيمس : البرجماتية ، تر: محمد علي العريان ،دار النهضة العربية ،القاهرة، مصر،دط، 1965م، ص 71.

قدما في حياتنا العلمية ، إن فكرة ما أو نظرية ما تكون صحيحة بقدر ما تساهم بنجاح في حل مشكلة معينه ، وبقدر ما تساعدنا في تجاوز هذه المشكلة والتقدم إلى الأمام[1].

3-تعتبر الفلسفة البرجماتية التجربة هي مصدر المعرفة ، مع التأكيد على النتائج العملية لأي فكرة أو تجربة ، فهي فلسفة عملية تعتمد على التجربة في المقام الأول ، وما يترتب عليها من نتائج عملية هي المحك لقبول الأفكار أو ردها يقول "بيرس" : " **فأي فرضية يمكن أن تكون مقبولة...شريطة أن تكون قابلة للتحقق التجريبي ، وفقط بقدر ما تكون قابلة لمثل هذا التحقق وهذا على نحو تقريبي اتجاه البرجماتية**" [2] ويضيف أيضا :" **لكي نتأكد من معنى أي مفهوم عقلي يجب أن نأخذ بعين الِاعتبار النتائج العلمية التي يمكن أن تحصل بالضرورة من ذلك المفهوم ، ومجموع تلك النتائج يشكل المعنى التام لذلك المفهوم** " [3].

4-البرجماتية فلسفة تركز على المستقبل وتقاطع الماضي بكل ما فيه ، فترى ضرورة تجاوز الماضي والبدء من المستقبل فهي لا تسأل عن كيفية نشأت المعرفة والأفكار بقدر ما تسأل عن النتائج التي تترتب على هذه الفكرة أو تلك في عالم الواقع . ويقول "جيمس" : " **لنا الآن أن نقرر بثقه ويقين أن الرغبة في تحديد المستقبل وفي تعيينه تكون عنصراً مهما من عناصر الميول الفلسفية وأن كل فلسفة تتجاهل إشباع تلك الرغبة ولا تعمل على ذلك لا يمكن أن تحوز قبولا عاما** "[4].

ب- أنواع البرجماتية :

1-البرجماتية الإنسانية : ترى كل ما يحقق الأغراض والرغبات الإنسانية فهو حق ، وقد أخذ هذا الموقف "ويليام جيمس" في بعض كتاباته وخاصة كتاباته في الأخلاق والدين ، كما أخذ به الفيلسوف الإنجليزي "شيلر" .

---

[1]- زيدان محمود فهمي : ويليام جيمس ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، اسكندرية ،مصر ،ط1 ،2005م، ص 164.

[2]- المرهج عبد الهادي : الفلسفة البرجماتية ،دار الكتب العلمية ،لبنان، 2008م ، ص 71 .

[3]- عبد الحفيظ محمد : الفلسفة والنزعة الإنسانية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ،الإسكندرية، مصر،دط ، 2006م ، ص86,

[4]- ويليام جيمس : إرادة الاعتقاد ، تر: محمود حب الله ،دار احياء الكتب العربية ،القاهرة،دط ، 1946م ،ص 52.

2–البرجماتية التجريبية : ترى أن الحق هو ما يؤدي إلى عمل ، بمعنى ما يكون متحققاً بصورة تجريبية.

3–البرجماتية الإسمية :هي صورة فرعية من البرجماتية التجريبية وترى أن نتائج الأفكار هي ما نتوقعه في صور وقائع جزئية مدركة في الخبرات التي تحدث في المستقبل ، وعلى سبيل المثال ، فإن معنى الطبيعة الإنسانية و الأقوال الصحيحة التي تقال عن هذه الطبيعة ليس عن جوهر معين "للإنسان " بل بالأحرى عن الأفكار الجزئية لأفراد النّاس الجزئية . وقد كان " بيرس" و " جيمس" في بعض كتاباتهما يأخذون الموقف التجريبي ، وفي بعض الأحيان الموقف الإسمي .

4–البرجماتية البيولوجية : بعبارة أدق الرؤية البيولوجية للبرجماتية ، وهي ترتبط " بجون ديوي" وترى أن الفكر إنما يهدف لمساعدة الكائن العضوي ليتوافق مع بيئته ، فالتأقلم الناجح المؤدي إلى البقاء والنمو هو بمثابة المعيار على صدق الأفكار [1].

ثالثا / نشأة البرجماتية وجذورها التاريخية :

أ – نشأة البرجماتية :

نشأت البرجماتية بوصفها فلسفة عملية في الولايات المتحدة الأمريكية ، في أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين [2] ، و إزدهارها في أمريكا يفسر وبوضوح جوهرها ، فأمريكا ليست دولة ذات هوية قومية كفرنسا وايطاليا مثلاً ، بل هي ملاذ تجمعات مهاجرين تركوا بلدانهم الأصلية من أجل الرزق أو تم نفييهم إليها من السجون التي اكتظت بالمجرمين أو من الهاربين من الاضطهاد الديني لذلك كان طبيعيا أن تختلف ، بل وتتناقض ثقافاتهم ودوافعهم ، وهنا برزت أهمية وجود فلسفة تلبي رغباتهم المختلفة ، فازدهرت البرجماتية لأنها تخاطب وتستجيب للمصلحة الفردية وتمنحها غطاء المشروعية الذاتية . وإذا أردنا أن نرجع إلى أصل البرجماتية فلا بد لنا أن نشير إلى مذهب الفيلسوف "بيرس" الذي استعمل هذا المصطلح لأول مرة في مقال بعنوان "كيف نوضح أفكارنا"

[1] –مهران محمد : مقدمة في الفلسفة المعاصرة ، دار قباء للطباعة والنشر ، قاهرة ، مصر ، د ط ، 2004م، ص 45.

[2] – الجابري علي حسن : الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ،عمان ،الأردن ، ط1،2007م ،ص 235.

« How to make our ideas clear » نشره في مجلة « Popular Science Monthly » في عدد يناير 1878م ، ويقرر فيه أن " المفهوم يكون ذا معنى إذا أنتج موضوعه آثاراً تدخل في إطار الخبرة تحت ظروف نتحكم فيها .... و يكون المفهوم واضحا إذا ما تيقنا وتحققنا من النتائج التي تلزم عنه عندما نحدد شروط موضوع لتصورنا. ويتساءل "بيرس" ما معنى وأهمية أي فكرة ما ؟ ويجيب طريقة السلوك المتولد عنها ، وهو ما يعني أن الموضوع هو محتوى الخبرة ومضمونها ، وأن قيمة الفكرة تكمن في نتائجها العملية ، التي هي الإحساسات المباشرة فقط [1].

أما عن نشأة البرجماتية وولادتها كفكرة فكانت داخل أروقة "النادي الميتافيزيقي" قبل أن تكون مصطلحا فلسفيا ومقالة يكتبها "بيرس" فالنادي الميتافيزيقي هو مجموعة من الشباب المتحمسين الذين يطمحون إلى أن يحتلوا مكاناً في الفكر الحديث حيث أسسوا حلقه فكرية تولى قيادتها "بيرس" وضمت ستة أفراد هم : تشونسي رايت ، نيقولاجون جرين ، ويليام جيمس ، جون فسك ، فرانس أبوت [2] .

فكانت البرجماتية حصيلة النشاط الفلسفي لهذا النادي من خلال المناقشات التي كانت تدور بين أعضائه وقد حرص " بيرس" على أن يدون ما كانوا يتناقشون به خشية أن ينتهي الأمر دون أن يترك أي ذكرى مادية وراءه . فيقول " بيرس " في إحدى مذكراته : (كان ذلك في أوائل السبعينات عندما اعتادت جماعة منا نحن الشباب في كامبردج العتيدة ، دعونا أنفسنا على سبيل السخرية ، وعلى سبيل التحدي " النادي الميتافيزيقي" لأن مذهب اللا أدرية كان عندئذ في أوج نشاطه ، وكان ينظر بازدراء شديد إلى كل الميتافيزيقيات ، اعتادت الجماعة أن تلتقي أحيانا في غرفة مكتبي ، وأحيانا عند " ويليام جيمس " ، ولعل بعض حلفائها القدامى في العصابة لن يحفلوا اليوم أن يذاع على الملأ أننا كنا في شهوات الشباب على الرغم من أن كل نصيبها من شهوات الشباب لم يكن سوى الشوفان المسلوق واللبن والسكر في كل ورطة على المائدة المشتركة فأما المستر هولمز فأعتقد أنه لن يسوء أن

[1]- شوقي جلال ، العقل الأمريكي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة،دط، 2010م ، ص 120.

[2]- زيدان محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص 35.

نقول أننا فخورون بأن نتذكر عضويته ، وكذلك العالم الموقر "جوزيف وارنر" ولقد كان " نيكولاس سانت جرين " من أكثر الزملاء الأعضاء اهتماما وشغفا ، وهو محام ماهر ضليع في مادته وأحد حواريي بنثام ، كانت قوته الخارقة في تحديد الحقيقة الحية من أثواب المصطلحات البالية هي ما لفتت إليه الأنظار في كل مكان ، وكان يرى أهمية خاصة في تعريف "باين" أهمية استعمال التحديد وهذا التحديد يرينا أن البرجماتية ليست إلاّ نتيجة له، ولذلك أميل إلى اعتبار "باين" الجد الأول للبرجماتية ، و" تشونسي رايت " هو شخصية ذائعة الصيت في تلك الفترة لم يكن يتغيب عن اجتماعاتنا أبداً وكنت على وشك أن أسميه المايسترو الاوركسترا أي قائد الفرقة)[1].

من خلال ما جاء في مذكرة "بيرس" فإن تسمية الميتافيزيقي التي حملها النادي لا تمت بصلة إلى الميتافيزيقا ، وأعضاؤه لم يكونوا ميتافيزيقيين وإنما كانت كلمة ميتافيزيقا تعني نوعاً من السخرية والتحدي للميتافيزيقا .

ب – الجذور التاريخية للفلسفة البرجماتيه :

ليست الفلسفة البرجماتية فلسفة أصيلة كلياً ، في كل أفكارها ومعتقداتها ، بل هي امتداد لغيرها من الفلسفات السابقة لها وتجسيد لبعض النظريات المعاصرة لنشأتها ، حالها في ذلك حال الكثير من الفلسفات المعاصرة . ويرى جيمس –كما رأى من قبله " بيرس" أنه لا يوجد أي شيء جديد على الإطلاق في الطريقة البرجماتية إنها كانت فلسفة سقراط بصورة فعلية[2] ، إلاّ أن "جيمس" يعود فيقول : " **بيد أن هؤلاء الرواد السابقين للبرجماتية استخدموها بعضا لا كلاً ، واستعملوها أجزاء وكسرا و شظايا لقد كانوا ممهدين فقط ، إذ لم يقدر للبرجماتية أن تعمم نفسها إلاّ في زماننا الحاضر** "[3] ويضيف "جيمس" أيضا في بيان ارتباط البرجماتية التجريبية : " **إن البرجماتية تمثل اتجاها مألوفاً تماما في الفلسفة وهو الاتجاه التجريبي ولكنها تمثله في شكل أكثر تطرفا** "[4] .

---

[1]- المرهج علي عبد الهادي ، مرجع سابق، ص 23.

[2]- المرجع نفسه،ص 24.

[3]- مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 50.

[4]- الكحلان حسن محمد ،الفلسفة التقدمية ،مكتبة مدبولي ، القاهرة، ط1، 2003م، ص 101.

وعليه يمكن القول بأن البرجماتية ليست فلسفة جديدة كلياً بل تمتد جذورها إلى الفلسفة اليونانية القديمة ، بالإضافة إلى تأثرها بالداروينية مثلاً في العديد من أفكارها .

1-السوفسطائيين:

أقروا بأن الخبرة الحسية تختلف من فرد إلى آخر ، لذلك كان لابد لهم من أن يصلوا إلى القول بأن الواقع هو ما يبدو عليه الفرد ، وهذا ما عبر عنه"بروتاجوراس" "Protagoras" (481 -411ق.م) في قاعدته المشهورة : " **الإنسان مقياس الأشياء جميعاً** " ، وبذلك وصلوا إلى مذهب ذاتي ونسبي في الإعتقادات والأخلاق والمعرفة ، وسنرى أفكاراً مشابه عند البرجماتيين .

2- أفلاطون و أرسطو :

إن التقاليد السقراطية الأفلاطونية والأرسطية كانت سداً منيعاً في وجه جميع صور الذاتية النسبية وبالتالي في وجه الملامح الأساسية للبرجماتية ، إلاّ أن كلا من أفلاطون و أرسطو قد ساهم مساهمة كبيرة في خلفية البرجماتية ، وعلى سبيل المثال فإن أرسطو بتركيزه على التجربة بوصفها مكوناً ضرورياً من مكونات المعرفة ، وعلى الجزئي المتعين على أنه هو الواقع قد وجه اِنتباه كثير من المفكرين اللاحقين مرة أخرى إلى الحس المشترك وبصورة بعيدة عن النزعة المتعالية المتطرفة التي اِرتبطت بأفلاطون ، وأيضاً فإن جعل أفلاطون التكهن بالمستقبل مقدماً في مجال المعرفة ، كان موضع تركيز كبير من جانب البرجماتيين المعاصرين[1].

3-الفلسفة الأبيقورية :

تنتسب الأبيقورية ل " أبيقورس " ، وأما عن اتفاقها مع البرجماتية فقد اتفقتا على مبدأ المنفعة المترتبة على العمل والتي سمتها الأبيقورية اللذة يقول أبيقور "**إن مقياس الخير هو اللذة ومفارقة الألم وهذا شيء لا حاجة بنا إلى البرهنة عليه ...فالأصل إذا في أخلاق خيره ان تتجه نحو تحصيل اللذة والابتعاد عن الالم** " وعليه فإنهم أخضعوا كل شيء للمنفعة وجعلوها بذلك معياراً.

[1]- مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 46.

أنكرت الأبيقورية على الإنسان حق الاشتغال بالعلم من اجل العلم ، لان العلم من أجل العلم لا يفيد شيئا اذا لم يكن تحته عمل أو إذا لم يكن مؤديا الى السعادة عن طريق العمل والتطبيق [1] وهو عين ما قال به رواد البرجماتية يقول "جيمس" :" **الفكرة مفيدة لأنها صحيحة ، أو أنها صحيحة لأنها مفيدة إن كلتا العبارتين تعنيان بالضبط نفس الشيء ألا وهو أن لدينا فكرة تحققت، ويمكن تحقيقها و إقامة الدليل عليها** " [2] .

4- الفلسفة الرواقية :

تتفق كل من البرجماتية والرواقية في اعتمادها الحس أساس لكل معرفة أو أصل لها ، فالرواقيون ماديون حسيون فكل معرفة عندهم حسية أو ترجع إلى الحس[3] ، إلاّ أن الجانب الأبرز في إتفاق كلتا الفلسفتين ، هو الِاهتمام بمحاولة الجمع بين المعرفة العقلية والمعرفة الحسية وغاية المنطق البرجماتي هو التوفيق بين العقلي والحسي ، ما يراه العقليون من جهة وما يراه التجريبيون من جهة اخرى ، وقد كان هذا السبب هو أحد أهم الأسباب في تصنيف البرجماتية كاِتجاه فلسفي[4] .

كما أن محور الفلسفة البرجماتية هو الاهتمام بالنتائج المترتبة عن العمل حيث أن البرجماتية أكثر المدارس إن لم نقل المدرسة الوحيدة في الفكر المعاصر التي آثرت الجانب العملي الذاتي كما فعلت الرواقية واضحة بشكل بارز عند " جيمس " الذي اهتم بالجانب الذاتي .

[1]- بدوي عبد الرحمن : الموسوعة الفلسفية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ،دط، 1984م، ص82 ،86 .

[2]- ويليام جيمس ، المصدر السابق ، ص241.

[3]- كرم يوسف : تاريخ الفلسفة الحديثة ، دار المعارف ، مصر، ط5 ، 1969م ، ص 307.

[4]- المرهج علي عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص 37 .

المبحث الثاني : أبرز رواد الفلسفة البرجماتية :

الفلسفة البرجماتية نتاج أفكار فلاسفة ورواد متعددين حيث تظافرت جهودهم في تأسيسها ، وسنعرج فيما يلي أبرز روادها وأكثرهم شهرة :

أولا / تشارلز ساندرس بيرس « Charles Sanders Peirce » :

أ – نشأته (1839 –1914 م) :

هو فيلسوف أمريكي ولد في مدينة "كمبرج " بولاية " ماساشوست " في 10أيلول 1839م وتوفي في "ملفورد " (بنسلفانيا) في 14 نيسان 1914 م وهو الابن الثاني ل " بنجامين بيرس " الذي كان عالم فلكي ورياضي فوفر له نشأة علمية من الطراز الاول ، نال شهادة البكالوريوس في الفنون من جامعة هارفارد عام 1859 م ثم شهادة أستاذ في الفنون 1862 م واخيرا شهادة البكالوريوس في العلوم سنة 1863 م وبين 1869 و 1875 م عمل مساعدا في مرصد هارفارد وبدءاً من 1872 م باشر بسلسة من التجارب حول النواس لتحديد كثافة الارض وشكلها والى تاريخ عينه تعود الدراسات التي اجراها حول طول الموجات الضوئية بالتعاون مع ل، م، رذرفورد انتخب في عام 1876 م عضو في اكاديمية الوطنية للعلوم وكرس نفسه لسلسة من الدراسات تتصل بمسائل رياضية وفيزيائية ، فلكية بصرية ،كيميائية ، لكن "بيرس " فرض نفسه كفيلسوف على الوجه الاخص ، فلقد درس الفلسفة في جامعة هارفرد خلال عامي 1864-1865 م ثم خلال عامي 1869 و1870 م وبين (1879-1884م) درس المنطق في جامعة " جون هوبكنز"[1] ، وقد فصل منها بعد خمسة اعوام بسبب موقفه العدائي من الدين ، فقد كان يقول :" ان الايمان بوجود الله هو ايمان غريزي ليس له علاقة باي شيء آخر " فخافت الجامعة بان توصم بالإلحاد خصوصا انها كانت في اعوامها الاولى فاستغنت عنه وعينت مكانه استاذا آخرا [2].

[1]- طرابيش جورج : معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، ط3 ، 2006م ، ص 220.

[2]- المرهج علي عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص12.

لقد عاش بيرس معانات شديدة جعلت من حياته حياة مأساوية ،عاشها فقيرا معوزا ، وفي آخر ايامه انهكه المرض فعاش على احسان بعض اصدقائه من أبرزهم " ويليام جيمس " ومع كل هذا عاش حياته معتزاً بنفسه إلى درجة الغرور ، فجاء في قوله عن نفسه في رسالته إلى جيمس : "**لكني كما تعرف المستر بيرس صاحب الشهرة وذيوع الصيت بسبب منجزاتي العلمية المتنوعة والعديدة ، وفوق كل شيء بسبب تواضعي الشديد الفردية الذي يحدوني الى تحدي العالم** " .

رغب في جعل الفلسفة علماً ، ورأى بأنه يجب ان تحاكي الفلسفة العلوم من خلال جعل مقدماتها المنطقية ومنهاجياتها واضحة اكثر [1].

يعتبر " بيرس " هو المؤسس والرائد للبرجماتية ، وأكثر قطب من أقطابها عمقا لمفهومها ، الا انه اقل واحد فيهم شهرة ، حتى ان مؤلفاته لم تنشر الا بعد وفاته لأعوام طويلة .

ب – أعماله وانتاجه العلمي:

نشر " بيرس " عددا من المقالات الفلسفية ولكنه لم ينشر كتابا في الفلسفة [2]، وقام بالإشراف على مجلتي العلم الشعبي (1877-1878 م) و(الواحد) (1891) ومجموعة في ثماني مجلدات تحت عنوان (أوراق مجموعة) (1931-1958 م) ويعتبر من أهم اعمال " بيرس " "تثبيت الاعتقاد" و "المنطق الكبير " [3].

كانت أول محاولة فلسفية هامة له "كيف نوضح افكارنا " وصدرت في شهرية العلم الشعبي في كانون الثاني 1878 م ، ولقد ترجمت الى الفرنسية ونشرت في العام التالي في المجلة الفلسفية وارسى "بيرس" دعائم الذرائعية في هذه الدراسة التي تركت أصداء واسعة ، ومن أعماله دراسات في المنطق 1823 م ، في الهندسة المعمارية للنظريات 1890 م ، وما الذرائعية 1905 م نشأة الذرائعية

[1]- المرهج علي عبد الهادي ، المرجع السابق ، ص157.

[2]- نجيب زكي محمود ، المرجع السابق ، ص138.

[3]-حنفي حسن :مقدمة في علم الإستغراب ،الدار الفنية للنشر والتوزيع ، القاهرة ،د ط، 1991م ، ص 439.

1905 م ، ولقد كتب عددا من المقالات في مواضيع شتى تتعلق بالعلم والسيكولوجيا ، وعلم الاصوات ، وعلم الفهارس والخرائطية ، وكان بيرس عديم الخبرة بالوقائع العملية [1].

ج – فلسفته :

من الفلاسفة من تقرأ لهم فتراك تنساب على بسيط هين لا تعترضه حزون ، فيشوقك السير ولكنك إذا ما أكملت الشوط وجدت جعبتك تكاد تخلو من الجديد الذي يهزك هزاً ، ومنهم من تقرأ لهم فتحس كأنما أنت تصعد الجبل الصعب ، أمامك في كل خطوة عقبة لابد من محاولة اجتيازها قبل أن تمضي في الصعود ، لكنك إذا بلغت نهاية الطريق ، ألفيت نفسك على قمة نقية الهواء ، لا يشوب سماءها هذا الغبار الذي يكتنف حياة الناس فوق الارض .

من هذا القبيل الثاني من الفلاسفة " تشارلز ساندرس بيرس " الذي كان بمثابة أول فيلسوف أمريكي يخرج على العالم بفكر جديد يبلور فيه الحياة العقلية كما تمثلت في القارة الجديدة ، فهو الذي خلق الفلسفة البرجماتية خلقا ، ثم هو الذي بلغ بها غاية كمالها [2]، فبين معناها بقوله : " **إننا لكي ننشأ معنى فكرة ، فكل ما يحتاج إليه فقط هو تحديد أي سلوك تصلح لإنتاجه ...وإذا فلكي نبلغ الوضوح التام في أفكارنا عن موضوع ما فإنا لا نحتاج إلاّ الى اعتبار ما قد يترتب من أثار يمكن تصورها ذات طابع عملي** "[3].

تتميز فلسفة " بيرس " بأنها فلسفة علمية تجريبية لا تأملية ميتافيزيقية ، هو أنها اذا ما نسبت الى الكون حقيقة ما ، اعتمدت في ذلك على تأييد الوقائع التجريبية ،وقد لا يجيء هذا التأييد التجريبي على يد الفيلسوف نفسه ، بل يجيء به باحثون من بعده ، ولذلك كان الطابع العلمي يحتم أن تكون الفلسفة عملا مشتركا يتعاون على ادائه أكثر من شخص واحد ، وليست هي الانتاج العقلي الذي ينجزه من أوله إلى آخره شخص واحد بمفرده ، وهذا من أهم الفوارق التي تميز الفلسفة العلمية

[1]- طرابيش جورج ، المرجع السابق ، ص 221.

[2]– نجيب زكي محمود : نافذة على فلسفة العصر ، مرجع سابق ، ص 126.

[3]- ويليام جيمس ، المصدر السابق ، ص 66.

المعاصرة عن الفلسفة التأملية كما عرفناها على أيدي الفلاسفة الأعلام ، من أمثال أفلاطون وأرسطو وديكارت وغيرهم[1].

ينظر "بيرس" الى الفلسفة من وجهة نظر الباحث العملي في معمله ، يبحث عن الجديد الذي لم يعرف بعد ، لا عن وجهة نظر الفيلسوف اللاهوتي ، الذي يتناول مادته وكأنما هي معصومة عن الخطأ [2]، حيث تدور فلسفته حول محورين أساسين ، يلتقيان في النهاية عند نقطة واحدة ، وهما مشكلة " المعنى " ومشكلة " الاعتقاد " ، أما الأولى فهي محاولة الإجابة عن هذا السؤال متى يكون للكلمة أو العبارة "معنى " ؟ وأما الثانية فهي تجيب عن هذا السؤال : إذا كان لدي اعتقاد معين بأن هنالك في العالم الخارجي شيئا ماذا صفة ، فما التحليل الصحيح لمثل هذا الموقف ؟ [3]

أولا / مشكلة المعنى :

يقصد بالمعنى هو ما تؤديه الفكرة من سلوك عملي ، فإن اي عبارة او كلمة تدل على معنى معين عند "بيرس" ، هذا يعني ان هذه العبارة أو الكلمة قد اعطت سلوكا ، وبخلاف هذا سوف تكون الفكرة المتكونة من عبارة أو كلمة خالية من أي معنى ، وبذلك فإن الفكرة التي لها معنى ، هي عبارة عن خطة تؤدي الى سلوك معين ، وعلى هذا الاساس فأن ، مشكلة المعنى قد بدئها "بيرس" من وجه النظر التجريبية ، فيرى أية فكرة انما ترتبط دائما بالانطباعات الحسية التي نتزود بها عن الاشياء التي هي موضوعات الإدراك ، وإننا لو اكتفينا بالعقل وحده دون الحس والمعرفة الحسية لما استطعنا ان نتوصل الى المعرفة الصحيحة ، فالحق لدى "بيرس " مرتبط بالواقع والفكرة التي تتمثل في كلمة واحدة أو مجموعة من الكلمات أي في عبارة ، ليس لها من الصحة شيء ، ما لم تخرج الى الواقع وتعبر عنه[4]

[1]- نجيب زكي محمود ، المرجع نفسه ، ص 129.

[2]- نبراس زكي جليل: فلسفة الدين ، منشورات الضفاف، بيروت ، لبنان،ط1،2012م ، ص 189.

[3]- نجيب زكي محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ،دار الشروق ، بيروت ، لبنان ، ط2، 1982م، ص 120.

[4]- نبراس زكي جليل، المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.

أصر بيرس على أن البرجماتية تذهب الى ان الفكرة يكون لها معنى من خلال أي سلوك عملي ممكن تستطيع الفكرة أن تنظّمه أو تؤدي إليه لا أن تؤدي الفكرة بالضرورة إلى تحقيق هدف حسي مباشر بل يكفي أن تعطي لسلوكنا معنى[1].

ثانيا / مشكلة الاعتقاد:

ننتقل الآن من مشكلة "المعنى " الى مشكلة "الاعتقاد " والمشكلتان مرتبطتان على كل حال إحداهما بالأخرى ، وتؤديان الى نتيجة واحدة . فما المقصود حين نقول ان لديك فكرة ، أو اعتقاد فإن كذا وكذا صواب؟ فيجيب "بيرس" ان الاعتقاد يشكل قاعدة للسلوك في مقابل الشك وهو عبارة عن تكوين عادة يشعر بها الانسان ، وينتج عنها سلوك مطابق للاعتقاد ، بعكس الادعاء الذي لا ينتج عنه أي سلوك ، وهذا يعني ان علاقة الحقيقة أو معيارها هو المنتج لا الحكم الفعلي ، فالعمل هو المحك الوحيد الذي يميز المعتقدات [2]، ومن هنا نستطيع القول بأن الفكرة أو المعتقد هو ما يكون له أثر في سلوكنا ، بحيث ينظم هذا السلوك ويؤدي إليه ، فالمعتقد عادة سلوكية يطورها كل كائن لنفسه ويحقق بها حاجاته ، وامتلاك العادات التي توضح لنا ما ينبغي عمله في شروط معينه لإشباع حاجاتنا[3].

ترتبط مشكلة الاعتقاد بمشكلة أخرى ألا وهي مشكلة " الشك " . والشك يحدث اذا كان هناك خلاف بين السلوك الفعلي والسلوك المتوقع إما اذا جاء السلوك الذي توقعناه هو نفس السلوك الذي أديناه ، ظل اعتقادنا الذي ادى الى السلوك قائما ، ولا يكون هناك ما يدعو للشك في صحة هذا الاعتقاد ، ان تمسكنا — في نظر بيرس– بكثير من المفاهيم والافكار واعتقادنا في صحتها غالبا ما يوقعنا بالأخطاء ، وان التمسك بهذه المعتقدات يجعلنا موقنين بصحتها ، ف "بيرس " على هذا النحو يدعو دائما الى البحث والتقصي عن الحقيقة ، ولا يثبت الاعتقاد بصحة المفاهيم والأفكار ما

[1]–هادي أحمد قيس :دراسات في الفلسفة العلمية والإنسانية ، مكتبة المنصور ، بغداد ، ط1، 1999م ،ص87.

[2]–نجيب زكي محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، المرجع السابق ، ص 129.

[3]-جمال هشام : قاموس الفلاسفة ، دار الخطابي ، البيضاء ، ط1، 1991،ص 102.

لم تتجسد هذه الأفكار و المفاهيم في الواقع ، ويكون لها وجود موضوعي خارج وعي وفكر الانسان[1].

وفي ختام التحدث عن "بيرس " يتضح بأن فلسفته كانت فلسفة علمية واقعية ، وانه كان فيلسوفا تجريبيا لا يؤمن بأي فلسفة مثالية، تؤمن بالقضايا الميتافيزيقية ، وموقفه هذا كان ينطبق مع موقف أصحاب الوضعية المنطقية التي كانت سائدة آنذاك في بريطانيا ، الذين رفضوا كل فلسفة مثالية ، وعدوها ضربا من الكلام الميتافيزيقي الخالي من كل معنى .

ثانيا – ويليام جيمس :

يعد الفيلسوف الأمريكي ويليام جيمس « William James » ، من أكبر دعاة الفلسفة البرجماتية ، فإذا كان "بيرس" مؤسس الفلسفة البرجماتية وواضع أصولها وركائزها ، فإن "جيمس" هو رسول "بيرس" في نشر أفكار الفلسفة البرجماتية بين العامة والخاصة ، ذلك بفضل أسلوبه الساحر ، واستخدامه للكلمات والعبارات البسيطة التي يفهمها الجميع ، عكس أستاذه "بيرس" تماما ، الذي كان يستخدم الأسلوب الصعب في التفسير ، ويستعمل العبارات والكلمات العسيرة الفهم التي يصعب إدراكها واستيعابها.

أ– نشأته :

ولد في مدينة نيويورك في شهر يناير لعام 1842 م ، من عائلة دينية معروفة ، صرفت وقتها للقراءة والاطلاع والسفر والرحلات ، وهو أخ لخمسة إخوة هو أكبرهم ،ومن بين اخوته أخ معروف اِسمه "هنري جيمس" ، الذي هو أديب من أعلام القصة الحديثة لا في الولايات المتحدة وحدها بل في الأدب الحديث كله ، تنقل "جيمس " في العديد من الدول الأوربية الكبرى كان منها لندن وباريس وبرلين ، تلقى بعض التعليم في معاهد فرنسا الخاصة ودخل الكلية في سويسرا ، عاد الى الولايات المتحدة الامريكية عام 1861 م ، وفي هذا التاريخ بدأت حياة "جيمس" العلمية ، حيث دخل مدرسة لورنس العلمية لجامعة هارفارد ومن دراسة المقررات في الكيمياء والتشريح ، وفي عام

[1]– نبراس زكي جليل ، المرجع السابق، ص ص 192،193.

1864م درس الطب في كلية هارفارد الطبية ، ونال شهادة الدكتوراه في الطب عام 1868م كما اصبح "جيمس" مدرسا للتاريخ الطبيعي ومدرسا لعلم التشريح عام 1874م[1]، بعد أن كانت حياة "جيمس " ذات طابع علمي ، عمل على تغيير هذا الطابع في عام 1875م نحو علم النفس والفلسفة ، الا ان طابعه العلمي لم يتلاشى لأن علم النفس الذي نحى منحاه لم يكن العلم العقلي التقليدي بل كان علم النفس التجريبي وبذلك عمل جيمس على الربط بين الفسيولوجيا وعلم النفس[2].

ب – أعماله وانتاجه العلمي :

كان لجيمس مجموعة من المؤلفات التي نالت صدى واسع في الفكر الامريكي بشكل خاص وفكر العالمي عامة ، وخاصة مؤلفاته في مجال الفلسفة ، وذلك بعد أن اصبح استاذا للفلسفة عام 1885م وفي عام 1892م كان مؤلفه الأول "مبادئ علم النفس" وهو مزيج رائع أخاذ من التشريح والفلسفة و التحليل حيث يعتبر من أعظم الكتب في هذا الموضوع وأعظمها استيعابا واحاطة وايجازا ثم أشار عليه تلاميذه أن يكتب ملخصا له فكتبه وسماه "أحاديث سيكولوجية إلى المدرسين " عام 1899م ، لقد امتاز "جيمس" بروعة تحليله الذي انتهى به إلى الإقبال والعودة أخيرا إلى الميتافيزيقا نفسها ، ويقول أن الميتافيزيقا ليست سوى مجرد محاولة للتفكير في الأشياء في وضوح ، ويعرف الفلسفة بطريقته البسيطة بقوله "إنها التفكير الوحيد بالأشياء في أفضل طريقة شاملة مدركة "، وهكذا كانت كل مؤلفاته التي نشرها بعد عام 1900م في ميدان الفلسفة [3]، فظهر له انتاج ضخم نذكر من بينه كتاب "ارادة الاعتقاد 1897م" ، وكتاب "أنحاء من التجربة الدينية 1902م " ثم كتابه المشهور "الفلسفة البرجماتية 1907م"الذي حدد فيه فلسفته الخاصة في صورتها النهائية ، حيث عرض نظريته عن المعنى والحقيقة ،والتي ربط فيها الفكرة بالسلوك العملي ، وقد طبق "جيمس" منهجه العلمي على عدة مشاكل فلسفية ، فظهر له كتاب " معنى الحقيقة 1909م" وكتاب" عالم

[1]– نبراس زكي جليل ، المرجع السابق ، ص 195.

[2]– رالف بارتون بيري : أفكار وشخصية ويليام جيمس ، تر: محمد علي العريان ، دار النهضة العربية ، بيروت ،ط1، 1965م ،ص 198.

[3]– ول ديورانت : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ، تر : فتح الله المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط6، 1988م، ص 616.

متكثر1909م" وبعد وفاته بعام نشر له كتاب " بعض مشكلات الفلسفة عام 1911م "، وقد كان "لويليام جيمس " اتصالات متعددة بالكثير من الفلاسفة المعاصرين ، حيث له مراسلات عديدة مع كل من"رينوفييه" و"برغسون" في فرنسا و"برادلي" وغيره في انجلترا ، ولقد نشرت مراسلات "ويليام جيمس" في مجلدين ضخمين ، نشرهما نجله "هنري جيمس" كما ظهر كتاب قيم في فرنسا عن شخصية جيمس[1].

ج – فلسفته :

من خلال تتبع مؤلفات "جيمس "حسب تسلسلها التاريخي ، سوف يتضح بأن هناك مراحل رئيسية في تطوره الفكري ، أولها انشغاله بعلم النفس ،حيث تناول نظرياته السيكولوجية في كتابه " مبادئ علم النفس "، وتعد نظرية تيار الفكر أو الوعي أهم نظرية لجيمس في مجال علم النفس فالوعي عنده يتكون من حالات مرتبطة مستقلة قائمة بذاتها ، وكل حالة من حالات الوعي ترتبط بالكل وتتأثر به ، و بناءاً على ذلك فإن كل حالة مثل العطف أو إحساس فكرة هي جميعها لشخص ما أو (أنا) معين ، وإن كل حالة من هذه الحالات في حالة تغير مستمر ، فالأحاسيس دائمة التغير في كل حادث نفسي ، وأن الوعي مستمر ومتواصل ، وان اهتمامه لأجزائه المتكون منها غير متكافئ وإنما يختلف هذا الاهتمام من عنصر إلى آخر، فهو يهتم ببعضها ويهمل بعضها الآخر[2].

وفقا لهذه النظرة فإن "جيمس " قد خالف نظرة القدماء إلى العقل الذين جعلوه سلبيا يتلقى المؤثرات فقط، وجعلوا الأفكار تترابط فيه آليا ، لكن "جيمس" نظر للعقل باعتبار أنه أداة إيجابية للنشاط الفعال الذي يقوم به الإنسان للتكيف مع بيئته ، وأصبح العقل عنده مرتبطا بالسلوك العملي النافع [3]، وهكذا يتضح بأن "جيمس " قد انطلق في برجماتيته من علم النفس ، والذي خالف فيه جميع من سبقه ، إلا أن برجماتيته هنا لم يكن لها ركائز قوية ومتينة إلا بعد مجيء مؤلفه " البرجماتية".

---

[1]– إبراهيم زكريا ، دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، د ط،دس ، ص30.

[2]- نبراس زكريا جليل ، المرجع السابق ، ص 197.

[3]–سماح رافع محمد : المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولي ،القاهرة ، مصر، ط1، 1973م ، ص57.

وكذلك من الأسباب التي جعلت منه يلجأ الى البرجماتية هو ميله إلى الوضوح بحكم دراسته في فرنسا حيث كان يمقت الغموض والحذلقة التي تتسم بها اصطلاحات الميتافيزيقا الألمانية التي اعتقد بعدم صحة أبحاثها ، ورفض مناقشة القضايا الميتافيزيقية مثل : هل العالم واحد أم كثير ؟ وهل هو مادي أم روحي؟ وهل الإنسان حر أم مقيد ؟ وغير ذلك من القضايا الغيبية المشابهة التي لا تؤدي إلى نتائج عملية نافعة ، فراح يبحث عن معنى يثبت فيه بطلان هذه الأفكار المجردة ، الى أن وجد ضالته ومكان يبتغيه في عام 1878م ،في مقال مشهور للفيلسوف الأمريكي " تشارلز بيرس " كما سبق الذكر ، بعنوان "كيف نوضح أفكارنا " ، فلقد وجد في قول "بيرس" بداية حسنة ، وأحب أن يسير في طريقه [1]، حيث دافع وبعث البرجماتية مرة أخرى ، بعد أن أصابها الركود بما يقارب العشرين عاما ،حيث قال :" **ولقد ظل هذا المبدأ – أي مبدأ البرجماتية – مهملاً تماماً زهاء عشرين عاماً ولم يحفل به أحد ، حتى قدر لي أن أبعثه من مرقده وأخرجه ثانياً إلى حيز الوجود**"[2]، ومن هذه اللحظة انطلقت البرجماتية مرة أخرى على يد "جيمس" ، بعد أن كان لها القليل من الشهرة على يد "بيرس".

أما الفكرة الأساسية في فلسفة " ويليام جيمس " ، هي نظريته في "المعنى " ، والتي لا تختلف في جوهرها عن نظرية "بيرس " التي تحدثنا عنها سابقا ، وهي أن ما يجعل للعبارة "معنى " كونها ذات نتائج عملية تترتب على تنفيذها ، أما إذا كانت أمامك عبارة لا تدري كيف تحولها إلى تجربة تحسها بحواسك ، كانت تلك العبارة بغير "معنى " ومن زعم أنه يفهم لها "معنى " فهو مخدوع [3]. وهذه النظرية تقضي على الخلافات اللفظية التي كثيرا ما تنشب بين المختلفين بغير داع يدعو إليها ، إما ما يختلفان عليه ليس بذي معنى على الإطلاق ، و إما لأنهما يعنيان شيئاً واحداً وهما لا يعلمان ، بحكم أن كلاً من هما يقول كلاماً غير الكلام الذي يقوله زميله ، فيتوهمان أن اختلاف اللفظ يستتبع حتماً

[1]- ديورانت ول ، المرجع السابق ، ص 617.

[2]– ويليام جيمس : البرجماتية ، المصدر السابق ، ص 66.

[3]– نجيب زكي محمود : من زاوية فلسفية ، المرجع السابق ، ص 213.

إختلاف المعنى ، مع أنه قد يكون المعنى واحد في القولين ، إذا كانت نتائج القولين واحدة[1] . أضاف "ويليام جيمس" بجانب نظريته للمعنى ، نظرية معنى الحقيقة« The Meaning of Truth » التي كانت محور برجماتيته لقوله :" **بأنها الجزء المحوري الذي يدور عليه كتابي الموسوم البرجماتية** "[2].

يتفق كل من "جيمس" و"بيرس" على أن السلوك العملي هو المعيار الوحيد لقياس الحقيقة ، إلاّ أن "جيمس" تجاوز نظرة "بيرس" واشترط أن يكون هذا السلوك نافعاً ، فاعتبر أن معيار الحقيقة هو السلوك العملي النافع الذي يترتب عليه ، فالفكرة مفيدة لأنها صحيحة أو صحيحة لأنها مفيدة[3] والصدق والمنفعة صفتان مترادفتان عند "جيمس" لأي فكرة ، فيقول موضحاً ذلك : " **أسمي الفكرة صادقة حين أبدأ بتحقيقها تحقيقاً تجريبياً ، فإذا ما انتهيت من التحقيق وتأكدت من سلامة الفكرة سميتها نافعة ، إن الصدق أعلى مراحل الصدق** "[4].

عرف "ويليام جيمس " بحكم نشأته وفطرته وتدينه ، كيف يستخدم معياره في "الصدق" ليبرهن به حقيقة وجود الله لما وجد في ذلك من حقيقة نافعة ، لها آثارها العملية في حياة المؤمنين[5] ، مما جعله مختلفا عن بقية زملائه البرجماتيين ، الأمر الذي حدا ب "تشارلز بيرس " الذي استخدم كلمة برجماتية لأول مرة أن يحتج على "ويليام جيمس " قائلا : " **إنه سيتخذ لنفسه كلمة أخرى يسمي بها مذهبه وسيتوخى فيها أن تكون قبيحة ثقيلة على النطق حتى لا يخطفها الخاطفون ، ثم يسيئون استعمالها ألاَ وهي كلمة "براجماتيقية** "[6] .

إلاّ أن ذلك لو يؤثر على "ويليام جيمس " حيث ظل في دنيا المثقفين – شرقاً وغرباً – اللسان المعبر عن البرجماتية ، بل عن الفكر الأمريكي .

---

[1]-نجيب زكي محمود : حياة الفكر في العالم الجديد ، المرجع السابق ، ص 142.

[2]-ويليام جيمس ، المصدر نفسه ، ص 74.

[3]- ويليام جيمس ، المصدر السابق ، ص 241.

[4]- زيدان محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص 57.

[5]- النشار مصطفى : مدخل جديد إلى الفلسفة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، دط، 1990 ص 169.

[6]-كامل فؤاد : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل ،بيروت ، لبنان ، ط1، 1993م ، ص97.

ثالثا / جون ديوي (1859–1952):

أ– نشأته :

جون ديوي فيلسوف ورجل تربية أمريكي ،ولد في برلجنتون 20اكتوبر 1859 ،دخل المدرسة ثم التحق بجامعة فيرمونت ،وبعد ذلك انصرف للتخصص في الفلسفة والتربية ، تحصل على دكتراه في الفلسفة في جامعة هوكينز سنة 1884 ، عمل استاذا للفلسفة في جامعة متشيغان بين عامي 1889 و 1894 ثم استاذا للفلسفة والتربية بجامعة شيكاغو من 1894 الى 1904 حيث انشأ اول مدرسة تطبيقية ، كما ترأس قسم الفلسفة بجامعة كولومبيا لما عين بها كأستاذ ، كما قام بعدة رحلات الى الخارج حيث زار انجلترا وإيطاليا عام 1904 وتركيا عام 1924 والمكسيك عام 1926 لتثمر هذه الجولات العديد من الافكار الفلسفية والتربوية التي ميزت فكره عموما وقد رحل عن الدنيا سنة 1952 [1].

ب– أعماله و إنتاجه العلمي :

يعتبر (ديوي) من أكثر رواد البرجماتية كتابة وتأليفا ، نال بسببها شهرته العلمية ، حيث كتب في مجلات عديدة ، من أهمها التربية والتعليم والمنطق والفلسفة وعلم النفس والاخلاق والسياسة بالإضافة الى ما كتبه في الشؤون الاجتماعية والحضارية ، ففي مجال التربية والتعليم كان له كتب اهمها (المدرسة والمجتمع)(The school and societ) و (الديمقراطية والتربية) (Democracy and education) و (مدارس المستقبل) (school of tomorrow) وقد كتب هذا الكتاب بالمشاركة مع ابنته (افلين ديوي) كتاب (الخبرة والتربية) و (التربية في العصر الحاضر) وغيرها من المؤلفات التربوية والفلسفية التي بلغ عددها 35 مؤلف [2].

[1]- الخوري انطوان : أعلام التربية (حياتهم وآثارهم) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ،ط1، 1964م ،ص 197.

[2]– الأهواني أحمد فؤاد : نوابغ الفكري الغربي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ،ط2، 1968م ، ص 16.

ج- فلسفته :

إذا كان "بيرس " منطقيا في توجهه البرجماتي بجعله وظيفة الفلسفة تتمثل في وضع معاني للعالم تتناسب مع ميولات الافراد واستجاباتهم لبيئتهم و "جيمس " مربيا وانسانيا في دفعه الناس التحقق من ان للمشكلات الفلسفية اهمية في حياتهم وتؤدي الى ألوان متنوعه من السلوك حيث دعا الى تعليم الفلسفة حتى يتوفر التفكير السليم في حاجات المجتمع بما تحققه المنفعة لأفراده ، فإن نظرة "ديوي " الفلسفية تأخذ موقفا متميزا من نظرة كل منهما باعتباره مجددا في الفلسفة ، حيث حاول نزع الغموض الذي أحاط بكلمة البرجماتية فاصطنع الوسيلية (Instrumentalisme) او الأداتية كاتجاه براجماتي خاص به وصارت البرجماتية عنده تستخدم النتائج على أنها اختبارات لازمة للوقوف على صدق القضايا لتكون عمليات قابلة للتطبيق والاجراءات باعتبارها ادوات تؤدي الى حل المشكلات التي تقتضي تلك الاجراءات [1].

لاشك في أن تأثر "ديوي" " ببيرس" و "بجيمس" خاصة كان واضحا سواء تعلق الامر بعلم النفس او الاخلاق حيث جمع بين الاصول البرجماتية التي وضعها "بيرس" في توجيه الفكر الى العمل من جهة اخرى ، فأسس فلسفته البرجماتية القائمة بذاتها والتي تهدف الى :

1- أن تصبح الفلسفة اداة فعالة تفسر الاحداث وتساعد الناس على حل المشكلات للتكيف .

2- أن تكون للفلسفة آثارا عملية اجتماعية تحقق تطلعات المجتمع التي يطلبها الواقع المتغير ، ومن غير ذلك فلا قيمة للفلسفة مهما كانت صحتها العقلية [2].

ومن هذه الاهداف التي رسمها "ديوي" لفلسفته يمكن ابراز مفهوم الفلسفة عنده وكذا منهجه فيها فهو يعرف الفلسفة على انها رؤية تهدف الى تحرير العقول من الاهواء وتحقيق حدة التوتر في الحياة الاجتماعية السائدة ويجعل من البيئة مصدرا أداتيا لغرس المعايير الاخلاقية في النفوس البشرية [3]ويحصر مهمتها في قوله " إن الوظيفة المميزة للفلسفة ، وان مشكلات الفلسفة ومادتها ، إنما تنشأ عما

[1]- رالف ن –وين : قاموس جون ديوي للتربية ، مختارات من مؤلفاته ، تر: محمد علي العريان ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ،1964م ، ص 45.

[2]-عبد الراضي ابراهيم محمد عبد الرحمن : دراسات في فلسفة التربية المعاصرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط1، 2002م ، ص 105.

[3]- هويدي يحي : قصة الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،دط، 1993م ، ص 138.

يحدث من ضروب التوتر في الحياة الاجتماعية التي منها ينشأ لون بعينه من ألوان الفلسفة [1]، ويعتقد أن الفلسفة كان لها دور كبير في ظهور الحركة العلمية كعلم الفلك والفيزياء والتاريخ يثبت ان المناقشات الفلسفية التي اكتسحت مجالات الحياة قد انجزت عملا كبيرا ، إذ لولاها لما وصل العلم الى ما هو عليه[2].

دعا "جون ديوي" الى تجديد الفلسفة من خلال معالجة قضايا الحياة الانسانية المتغيرة بالبحث على اسبابها وحقائقها ، وفي هذا يقول : " فمن العمليات التي يجيب ان تضطلع بها الفلسفة المجددة عملية مؤداها أن نجمع ونعرض الاسباب التي تعلل زوال ما قد كان قائما من فصل بين ما هو نظري وما هو عملي [3]وهنا يستند لما قدمه "جيمس " في تصوره لوظيفة الفلسفة والتي رآها لا تخرج عن العمل على تحرير عقول الناس من التحزب والهوى وتعمل على توسيع مدارك الناس للعالم الذي يحيط بهم ،وبهذا يظهر طموح "ديوي" في ازالة الثنائية التي تميزت بها الفلسفة التقليدية ، وعمل على بيان وجهات النظر المختلفة التي ميزت تاريخ الفلسفة وعبرت عنها المذاهب الفلسفية المختلفة والتي اختلفت فيما بينها حول طبيعة الحقيقة في حين يرى "ديوي " ان الاختلاف كان له ان يكون حول الهدف الاجتماعي الذي يتم السعي لبلوغه ولو كان ذلك الاهتمام ليس منعزلا على الانسان في طبيعته وطبائع حياته وتاريخ مؤسساته الاجتماعية لظفرت الفلسفة بما ظفر به العلم اليوم ، وبالتالي ستكون مهمة الفلسفة اذا ارتبطت بالقضايا الاجتماعية هي العمل على توضيح افكار الناس وتبصيرهم بشأن ما يدور فعلا في عصرهم وتسعى لمعالجة ذلك التعارض في الواقع .

يظهر مما سبق ، ان الفلسفة في تصور "ديوي " تهدف الى تغيير الوقائع تغييرا فكريا وعمليا بما يناسب التقدم العلمي والصناعي الذي تشهده الحياة ، ولعل الذي جعله يعترف بفضل المنهج التجريبي عليه في بناء فلسفته الوسيلية ، فكان بذلك فيلسوفا برجماتيا لامعا نظرا لما تضمنته نظريته من افكار ساهمت في تطور البرجماتية وامتدادها ، ان ما قدمه "ديوي " يبين ان البرجماتية تتضمن

[1]–ديوي جون : تجديد في الفلسفة ، تر : أمين مرسي قنديل ، مكتبة أنجلوالمصرية ، القاهرة ، 1947م ، ص ص 9، 10.

[2]– ديوي جون ، المصدر نفسه ، ص 27.

[3]– المصدر نفسه ، ص 55.

توجهات حتى وان تباينت في بعض المواقف عما قدمه اعلامها الاخرون الاّ أنها تتماهى جميعها في خدمة المذهب البرجماتي ، ومن هنا يمكن الوقوف على سمات "جون ديوي " التربوية .

فلسفته التربوية :

وهي التي استغرقت جل كتاباته ، بل تكاد ان تكون همه الوحيد الذي سعى الى ان يطبقه ويجري التجارب لتعزيز ما يعتقد تجاهه ، فكان من اول الاعمال التي قام بها عندما عين رئيس قسم الفلسفة وعلم النفس والتربية ، في جامعة "شيكاغو " عام 1994 م ان أنشأ مدرسة تجريبية لتحقيق الربط بين النظريات التربوية وتطبيقاتها العملية وهدفه تجريب طرائقه ومناهجه الدراسية ووسائله في التنظيم المدرسي ، التي لم يسبقه إليها أحد ، وهذه الطريقة هي لب فلسفة "ديوي" التربوية ، والتي أطلق عليها (العادة المختبرية للعقل) والتي استعارها من بيرس .

يبدو أن هذه الفكرة قد استفادها "ديوي" عند انتقاله الى "شيكاغو " ، وملاحظته للاختلاف الكبير الحياة التي كان يعيشها في شرق أمريكا ، وبين ما شاهده هناك ، فلقد لاحظ أنهم في "شيكاغو" لا يؤمنون بالجلوس الهادئ على مقاعد الدراسة لتلقي التعليم النظري فقط ، بل كانوا يقدسون العمل اليدوي الى حد كبير ، فهم لا يفترون للحظة عن العمل اليدوي الدؤوب فأثر ذلك فيه كثيرا ، مما جعله يؤمن بأن مقياس الصواب هو النتائج ، وعلى قدر ما تعطي النتائج من حل للمشكلات التي تواجه الطلاب على قدر ما تتمتع بالصواب ، بالإضافة الى تأثير زوجته "أليس تشابمان " التي كانت تشتغل معلمة واثرت في زوجها تأثيرا عظيما ، فدفعته من الاهتمام بالفلسفة الى الاهتمام بواقع الحياة المعاصرة والتربية بشكل خاص [1]. وتتلخص نظريته التربوية كما صورها في كتاب "عقيدتي التربوية " في الامور التالية :

1- إن التربية ظاهرة طبيعية في الجنس البشري ، وبمقتضاها يصبح الفرد وريثا حصلته الانسانية من حضارة .

2-تتم هذه التربية لا شعوريا ، وبذلك تنتقل الحضارة من جيل الى جيل آخر .

[1]-أحمد الأهواني ، المرجع السابق ، ص ص 22،23.

3-التربية تقوم على العلم بنفسية الطفل من جهة ومطالب المجتمع من جهة أخرى فالتربية ثمرة علمين هامين هما: علم النفس وعلم الاجتماع.

بعد التعريف بالبرجماتية ومبادئها وأصولها الفلسفية وأهم روادها وفلسفاتهم من اليسير الآن الإنتقال إلى الفصل الثاني لتبيان المعنى الإصطلاحي للحقيقة والتصور البرجماتي لها ، من ناحية المعنى والمعايير التي تقوم عليها ، خصوصاً عند " ويليام جيمس ".

المفهوم البرجماتي للحقيقة :

جوهر الفلسفة البرجماتية ومحور تفكيرها وهو نظريتها عن الصدق أو الحقيقة ، التي تعد بحق أهم وأخطر ما أسهمت به البرجماتية في الفكر الفلسفي المعاصر ، لأنه ليست هناك كثرة من الحقائق بل إن الناس نادرا ما يعنون نفس الشيء عندما يصفون عبارة بأنها حقيقية .

1 /المفهوم الاصطلاحي:

تعد مشكلة الحقيقة أو الصدق من المشكلات التي اعتنى بها الفلاسفة،لأنها تشكل أهمية في فض الخلاف المترتب على ما هو زائف (كاذب)، و ما هو حقيقي(صادق)، كما شمل الِاهتمام بمسألتين متعلقتين بمبحث الصدق،**الأولى** : تتعلق بمعنى اللفظ أو الحقيقة،و**الثانية** :تتعلق ببناء المعايير التي يمكن بواسطتها الحكم على الأقوال والأفكار بالصدق أو الكذب، وهنا تبرز مشكلة التداخل بينهما إلى درجة " يتعذر معها في الغالب إدراك الفرق بينهما ، وليس أدل على ذلك من أن معظم الفلاسفة يركزون اهتمامهم أثناء بحثهم لموضوع الصدق على تقديم المعايير التي تميز بين ماهو صادق وما هو كاذب، ولا تكاد تجد شيئا يذكر عن معنى الصدق، أو معنى اللفظ المقابل له أعني الكذب"[1].

ومن أشهر النظريات التي تحدثت عن موضوع الصدق نظريتان هما:

أولا / نظرية التطابق:

"مفادها أن العبارة تكون حقيقية إذا كانت تطابق واقعا موضوعيا"[2]، ويعني هذا أنه لابد من تطابق الفكر أو الاعتقاد مع العالم الخارجي فلو قال قائل : "في جيبي قلم"، لكان الصدق و الحقيقة متوقفين على الوجود الفعلي لهذا القلم ، وإذا لم يكن هناك قلم فالقول كذب .

ورغم أن هذا المفهوم يبدو في غاية البساطة في الأمور المادية المحسوسة ، إلا أنه يأخذ جانباً من الصعوبة إذا ما أريد تطبيقه على الغيبيات أو الموجودات التي لا تخضع للحس مباشرة، فلذا يبدو أنه

[1]– مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 58.

[2]– هنتر ميد : الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، تر: فؤاد زكريا شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2، 2005م ، ص 162.

لا يصلح لأن يكون معيارا مطلقا للحقيقة ، حيث "لا يمكن تطبيقها و الاعتماد عليها إلا عندماتستخدم بدقةفي مجالات معينة بل حتى في الحالات التي تنطبق فيها بالفعل على موقف ما فلا بد أن تكون هناك وسيلة تكميلية"[1] فهي أكثر تماشياً مع الفلسفات ذات النسق المادي.

ثانيا / نظرية الِإتساق :

مفادها " أن العبارة والقضية تكون صحيحة إذا كانت تنسجم مع حقائق أخرى مقررة أو متسقة مع معرفتنا ككل"[2]فلو قال قائل هذه الفكرة غير صادقة لأنها غير متسقة أو مترابطة مع ما عندي من مسلمات سابقة لكفى للحكم عليها.

ومن أفضل المجالات التي يمكن ضرب المثال بها لتبيين الفكرة هو مجال الرياضيات التي تبنى فيها الحقيقة و الصدق على خطوات الاستنباط المتسلسلة خطوة تلو الأخرى، وهذه الخطوات مبنية على المسلمات الرياضية السابقة ، فيلزم منها قبول النتيجة التي سارت على هذا النسق في نهاية المسألة لكونها متسقة مع المسلمات السابقة لها.

لاقت هي الأخرى هجوماً من مخالفيها من التجريبيين الذين يقولون: **" إن جنة المعرفة هذه تربض فيها حية رقطاء هذه الحية هي نظرية الترابط ، وكذلك كل النسق الاستنباطية المبنية عليها لا تنطوي على حقيقة على الإطلاق"**[3].

وبعد هذه المقدمة يتبادر سؤال منطقي هو : ما الجديد الذي جاءت به الفلسفة البرجماتية في (نظرية الصدق)؟

[1]- مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 164.

[2]- مهران محمد ، المرجع نفسه ، ص ص 186، 169.

[3]- هنتر ميد ، المرجع السابق ، ص 169.

الحقيقة البرجماتية:

الهدف الحقيقي للبرجماتية هو السعي إلى إيجاد معنى جديد لكلمة الحقيقة يختلف عن المعنى الذي ارتبط خلال تاريخ الفكر الإنساني بالثبات واستحالة التبدل الى معنى أكثر ملائمة لروح التطور والتغير التي سادت الاتجاهات العلمية والفلسفية آنذاك .

أراد البرجماتي ، كما سنرى أن يقنع الباحثين بأن يبحثوا عن صفة أخرى للحقيقة ترتبط بالفعل والعمل والنجاح ، فالأصح هو الأصلح دائماً ، أي هو الأكثر نجاحا والحقيقة هي ما يصلح فحسب و معيارها هو النجاح العملي ، أو ما يؤدي إلى نتائج عملية ولكي نستطيع أن نقف على كل هذه المعاني علينا ان نتعرض لنقطة البداية عند البرجماتية ، والقوة الدافعة لهذا المذهب حتى يتضح لنا كيف كانت رؤيتهم عن الحقيقة [1] .

مما سبق يمكن القول أن البرجماتية قد أقرت قاعدة لجميع الناس الذين يؤمنون بفكرهم ، هي مقياس الحق ومقياس القيم كلها ، هذه القاعدة تقوم : ان الفكر حق أو مبدأ حق متى تحول معتنقه إلى سلوك ناجح في حياته . وبعبارة أخرى إن الحق لم يعد غاية في ذاته، وإنما أصبح وسيلة لتحقيق أكبر قدر من المنفعة العملية ،كما أصبح مقياس الحكم هنا لا يقوم في مطابقة هذه الحقائق لموضوعاته ، بل فيما يحققه من منفعة للإنسان ، وهكذا سخرت الفلسفة البرجماتية العقل لتفسير أسباب الحياة وإشباع الرغبات ، ولم يعد معنياً **بالبحث** عن حقائق الأشياء و وضع المبادئ المطلقة والمثل العليا[2] ، كما يتبين لنا ان الحقيقة لا ينبغي النظر إليها من منظور الحضور،بل من منظار الاختفاء والتجلي و الاحتجاب والانكشاف، فالحقيقة تخفي خداعه.

نتساءل من الناحية البرجماتية في حالة تسليمنا لصحة فكرة المعتقد فما هو الفرق الملموس الذي يحدثه كونه صحيحا في الحياة الواقعية لأي إنسان ؟ كيف تتحقق الحقيقة ؟ وباختصار ماهي القيمة الفورية للحق اختباريا وتجريبيا وممارسة ؟ لإجابة على ذلك براجماتيا تكمن في أن الأفكار الصحيحة

[1] –مبروك أمل : مفهوم الحقيقة ، الدار المصرية السعودية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د ط ، 2008، ص 28،29.

[2] – ياقوت سالم : المناجي الجديد للفكر الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ط1، 1999م ، ص 27.

هي التي تقيم الدليل عليها وعلى صحتها ولفعل ذلك لابد من أدوات تقوم على كل ما هو تجريبي وملموس ومحسوس ، البحث عن الحقيقة ليس غاية بل وسيلة لبلوغ حقائق تؤدي إلى ضروب من السعادة للإنسان . فالعملية بالنسبة للأفكار مصدر صحتها نسبية بمعنى أن ما هو صحيح في وقته وبالتالي نقول إنها مفيدة لأنها صحيحة ، أو أنها صحيحة لأنها مفيدة[1]، وللحقيقة معنى عام يندرج تحت معنيين الأول يدل على الوجود والشيء والموضوع والكائن بإطلاق و يدل على الثبات في دوره الأساسي الضروري في مقابل المتغير وغير الحقيقي والباطن والمتوهم والظاهر والسراب ، أما بما يخص المعنى الثاني فيدل على توافق القول مع الحقيقة والوجود أو بصفة أكثر حداثة تطابق المعرفة مع موضوع المعرفة في مقابل الخطأ والغلط والابهام ، إن المعنى الأول يشير إلى جوهر وماهية الشيء ، وهو بهذا يفيد الحقيقة ، ومن هذه الناحية فمدلولها هو ما يقصد به في اللغة العربية خالص الأمر ومحض وكنهه في حين يدل المعنى الثاني على فعل المطابقة والاتفاق أي اتفاق وتطابق المعرفة مع موضوعاتها بحيث تكون الأفكار متفقه مع الموضوعات التي تمثلها[2] .

فالحقيقة غير مطلقة وهي أحسن ما في حوزة الإنسانية من المعارف المجردة ، لأنها ثمرة تفاعل العقل الإنساني مع البيئة الموجودة فيها أو ثمرة إعادة تجديد الخبرات ، وتشكل طبقا لخبرات الملاحظة والبيئة المحيطة التي يتم فيها ممارسة الخبرات وتوجد الحقيقة طبقا لمستوى قيم الإنسان بوظيفته من خلال استعماله خبراته الاجتماعيةوالطرق العلمية و النظريات الشخصية ليعطي الخبرات تأثير أفضل ليكون عمليا له تطبيقات نافعة للأفراد أو بيئتهم.

تصور بيرس للحقيقة :

لأجل عرض كاف وصحيح لمسألة الحقيقة عند "بيرس" وجب الرجوع إلى منهج البرجماتية في المعرفة والبحث فقد كتب " بيرس" مقالتين تثبت الاعتقاد وكيف نجعل افكارنا واضحة ومن النظرة الاولى لهاتين المقالتين يتبين بوضوح مدى اهتمام "بيرس" بالبحث عن مشكلة الحقيقة ، وتصوره

[1]– جديدي محمد : فلسفة الخبرة ،جون ديوي نموذجاً ، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2004م،ص 188.

[2]- محمد سليمان حسن : دراسات في الفلسفة الأوربية ،محفوظة علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، ط1، 1961م ، ص 46.

يذهب الى مجرد الاطلاع على الشيء وتحيده ليس كافيا لجعل الافكار واضحة بل يجب ربط أفكارنا بالعمل حيث يقول : " لكي نتأكد من معنى أي مفهوم عقلي ، يجب أن نأخذ بعين الاعتبار النتائج العملية التي يمكن أن تحصل بالضرورة من حقيقة ذلك المفهوم ومجموع ذلك المفهوم ومجموع تلك النتائج يشكل المعنى العام لذلك المفهوم فوظيفة الفكر هي إنتاج لطرائق هي قيد العمل ، وأنها يمكن ان تعمل فتوضيح الافكار لا يكون على أساس الإدراك والتأمل ، ولكن من خلال التأكيد على عمل هذه الأفكار وما تنتجه .وهدف "بيرس " الذي يسعى لبلوغه هو وضوح الأفكار وهو نفسه هدف الفلاسفة أمثال "ديكارت " و " ليبنيز " وغيرهما .

فالشك عند " بيرس " هو حالة مزعجة لا نرضاها وإنما نناضل دوما لكي نتحرر منه لننتقل لحالة اليقين الذي نعتقد به نحن والاعتقاد لا يحملنا على العمل فورا ولكنه يضعنا في حالة تأهب للعمل بطريقة معينة عندما تتيح الفرصة ذلك[1]. "فبيرس" قام بنقل مناقشة مسألة الحقيقة إلى أرضية أخرى غير التي كانت تطرح فيها ، فأصبح النقاش لا يدور حول الحقيقة العامة العالية . وإنما الاعتقاد في الحقيقة وما ينتج عنه إن كان حقيقياً أو باطلاً. وبعبارة أخرى فإن التحول الهام الذي جاء به "بيرس" يكمن في تحويل الاهتمام من مشكلة أصل الأفكار ، وقد وضع قاعدتين كأساس لنظريته في الحقيقة يتضح فيها مجهوده.

القاعدة الأولى : إننا نعني بالحقيقة الرأي أي يتحكم أن يوافق في النهاية جميع من يتحرونه وأن الموضوع الذي يتمثل فيه الرأي يطلق عليه الواقع.

القاعدة الثانية : إن الحقيقة هي تطابق بين تقرير حالة مجردة مع رأي قاطع يؤدي إليه البحث إلى مالا نهاية ، يهدف الوصول إليه يقين علمي ، وهذا التطابق قد يتحقق بهذا التقرير المجرد فالاعتراف بما يكتنفه من الخطأ و الانحراف وذلك عنصر أساسي في الحقيقة .

ان التحقيق الذي قصده " بيرس " من الأفكار هو ما تفرزه هذه الأفكار على الصعيد العملي وما تخلفه من آثار حسية . ومن هنا جاء فهمه للحقيقة مرتبطا بالتحقيق أو التحقيقية . المرتبطة

[1]- جديدي محمد ، المرجع السابق ، ص 190.

بدورها بالمنهج التجريبي ، فكان تعريفها للحقيقة على أنها مثل كل صفة أخرى ، تتألف من المعلولات الحسية الجزئية التي تولدها الأشياء التي تشارك فيها والاثر الوحيد للأشياء الحقيقية هو أنها تسبب الاعتقاد ذلك ان جميع الإحساسات التي تثيرها تبرز في الشعور في شكل اعتقادات ، فالاعتقاد الحقيقي يتميز عن الاعتقاد الباطل أو الاعتقاد الوهم ، و أن الأفكار الحقيقية والباطلة ، في أقصى نموها تنتمي فحسب إلى المنهج التجريبي للحسم بالرأي [1].

يلاحظ كذلك " بيرس " ان هناك سلما للتطبيقات المحتملة للتصورات على الوجود ومن ثم يكون هناك تعدد في المعاني والمفهومات ، وكلما اتسع نطاق التصورات تحررت من قيود الحالات الخاصة و أمكن لنا أن ننسب أعظم قدر من العلوم لمعنى اللفظ ، وهكذا تعارض نظرية " بيرس " أي تحديد لمعنى التصورات بأداء غرض خاص أو غرض شخصي ، كما تعارض فكرة إخضاع الفكرة لخدمة لمعنى التصورات بأداء غرض خاص أو غرض شخصي ،كما تعارض فكرة إخضاع الفكرة لخدمة أي نفع مادي أو مصلحة محددة كما نجد ملاحظة "بيرس" النفسانية من أن الاعتقادات هي حقا قواعد العمل ، وليست وظيفة التفكير إلاّ خطوة واحدة في إنتاج عادات السلوك ، و إن كل فكرة نكونها في أنفسنا عن شيء ما ، إنما هي في الحقيقة فكرة عن الآثار المحتملة لهذا الشيء[2] .

يقصد "بيرس" بالمنهج البرجماتي وسيلة لتوضيح الأفكار والتصورات ، إنه يضع لها تعريفات ، فيكون منهجه نظرية جديدة في التعريف ، ويسميها نظرية في المعنى [3]. كما عرف "بيرس" الفكرة بأنها (مجال الفعل) بالنظر إلى أثارها أو نتائجها العملية المترتبة عليها ، بمثابة الخطوة الأولى في إرساء قواعد المذهب البرجماتي[4]، وقد قدم نظريته في الحقيقة مفادها أن الحقيقة هي ما تتفق عليه مجموعة محترمة من الباحثين ، وانتهى بنتيجة أن الكثير من المفاهيم الفلسفية التقليدية ليس لها أي فائدة عملية ، وبالتالي لا معنى لها[5] . فالفكرة خطة العمل، و قيمتها في نجاح تلك الخطة، وهي كالخريطة

[1]– جديدي محمد ، المرجع السابق ، ص ص 191،192.

[2]–الأهواني أحمد فؤاد ، المرجع السابق ، ص 81.

[3]–زيدان محمود فهمي ، المرجع السابق ، ص 37.

[4]–عطيتو حسن جميل : مدخل إلى الفلسفة ومشكلاتها ،دار النهضة العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2003م ، ص 887.

[5]–طه جميل حسن : الفكر التربوي المعاصر ،دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ،الأردن، ط1 ، 2007م ، ص 93.

قيمتها ليست مرهونة بجمال ألوانها وحسن شكلها وإحكام رسمها، بل بكونها أداة صالحة في يد المسافر ليعرف بها أين النهر و أين الجب ؟ ما أكثر الناس الذين يحسبون أن في رؤوسهم أفكار ، حتى إذا سألتهم و ماذا تستطيع تلك الأفكار أن تؤدي في دنيا العمل ؟ لم يحرزوا جواباً ، لأنها ليست في الحقيقة أفكار بالمعنى الذي يحدده البرجماتيين ، بل أكثر الفلاسفة الذين يتحدثون كما يسمونه "أفكاراً" وهي في الحقيقة لغواً لا ينفع ولا يشفع ، وإذا فمقياسنا هو : " ماذا عساي أن أصنع بهذه الفكرة أو تلك ، وبهذا أستطيع أن أصنع . تتحدد معنى الفكرة "[1] .

يزعم "بيرس" أن كل اصطلاح حق إذ كان له مدلول والمدلول له وجود حقيقي ، إذ كان ينتج بعض النتائج في هذه الدنيا التي نشاهدها ، وألاّ فلا معنى للاصطلاح ولا وجود للمدلول أو الشيء فكل شيء يؤدي عملا معيناً في هذه الدنيا ، له وجود حقيقي وللاسم والاصطلاح الذي يطلق عليه معنى في عالم المعاني ، إذ جعلنا هذا الحكم مقياسا للحق و للحقائق أيضاً ، أرحنا أنفسنا من كثير من الأفكار التي لها حظ من الصورة المحسوسة إن هي إلّا دلائل للعمل أو اتجاهات للنشاط ، وقد ننسى صورها وأشكالها ولا يبقى منها شيء إلاّ قدرتها على حفز النشاط ، أو قدرتها على التوجيه في الحياة.

فالفكرة عند "تشارلز بيرس" أو عند البرجماتية هي مشروع أو خطة للعمل والنشاط ، وليست حقيقة في ذاتها[2] . آمن "بيرس" بأن الاعتقاد يشكل قاعدة للسلوك في مقابل الشك ، وهو عبارة عن تكوين عادة يشعر بها الإنسان وينتج عنها سلوك مطابق للاعتقاد ، بعكس الادعاء الذي لا ينتج عنه أي سلوك ، وهذا يعني أن علاقة الحقيقة أو معيارها هو العمل المنتج لا الحكم الفعلي ، فالعمل هو المحك الوحيد الذي يميز المعتقدات[3] .

[1]-نجيب محمود زكي : من زاوية فلسفية ،المرجع السابق ، ص 207..

[2]-جعنيني نعيم حبيب : الفلسفة وتطبيقاتها التربوية ،دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1، 2004م ، ص 189.

[3]-فام يعقوب : فلسفة البراجماتيزم ، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ، ط2، 1985م ، ص 146.

تصور جون ديوي للحقيقة :

الحق في الفلسفة البرجماتية هو التحقق ،وصدق الفكرة غير منفصل عن طريق تحقيقها . و "ديوي" لا يختلف عن غيره في الأخذ بهذه الفكرة ، وإن كان يربط بين الحق والبحث ، فيقرر أن الحق هو ذلك الذي يأتي حلا للموقف والمشكل ، فالحق ليس حقيقة غيبية ميتافيزيقية ، بل هو " صفة " تصف العلاقة القائمة بين المشكل والحل ، الذي ينقلنا من موقف مهوج غير متحدد ، فالحق بذلك هو تجنب الدخول في مناقشات ميتافيزيقية حول طبيعة العلاقة بين الفكر والواقع ، أو بين الذات والموضوع .ويقول "ديوي" بنظرية التقابل التي تجعل من الحق استجابة لبعض الشروط والمتطلبات التي يقتضيها حل موقف المشكل ، فالحق وثيق الصلة بالصلة بين الإشكال والحل ، والسؤال والجواب والمفتاح والقفل مثلا ، فهو عملية إجرائية ترتبط بالموقف والمشكل .ومحك صدق الأفكار عند "ديوي" هو التطبيق العملي ويستشهد بذلك على عبارة من الإنجيل تقول : " من ثمارهم تعرفونهم " بمعنى أن الآثار العملية هي المحك الوحيد لقياس الأفكار ، ولهذا يرى الفلاسفة التقاء "ديوي " "بماركس" الذي رأى أن واقعية الفكر وقوته ، لابد من أن توضع موضع اختبار في مجال التطبيق والعمل [1] ، فالحق عنده هو التحقق من منفعة الفكرة بالتجربة ولا يمكن أن يكون شيئاً آخراً، وهكذا انتهى إلى مذهب رأى أن الحياة هي توفق بين الفرد وبيئته، ولهذا فإن العقل ليس أداة معرفة بل أداة ترفيه للحياة ، وصواب المعتقد مرهون بأثرها ، وبقيمته المنصرفة وبهذا اتسع معنى البرجماتية فأصبح صواب الفكرة ، والمبدأ معناه تكيفه مع حياة الآخرين ومعتقداتهم ،وليس مع حياة الفرد العملية فحسب [2].

إن التفكير السليم برأي "ديوي" هو الوصول إلى صلب المعضلات ثم تعريضها بعد ذلك للتجربة ، فإن أكدت التجربة افتراضاتنا نكون قد حللنا الإشكال ، مما يسمح لنا بمزيد من التقدم وهكذا تنمو معارفنا في مختلف المجالات ، وتختلف باختلاف مستويات المعرفة التي نتعامل معها ، لكن في

[1]- إبراهيم ياسين : مدخل إلى الفلسفة العامة ، دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع ، ط1 ، 2005م ، ص 337.

[2]- شرفا إسماعيل ،المرجع السابق ، ص 27.

مستوى المعرفة العلمية نستطيع أن نركن إلى نتائج بوثوقيه مطلقة خلافاً لمستويات المعرفة الأخرى ، لذلك يجب تعليم الأطفال من خلال الممارسة المخبرية ، لمزج النظر حتى نشكل الفكر المنهجي بين العقلين النظري والعملي ، وهذه الوثوقية بنتائج العلم رأيه حين قال : " إن قلة من الفلاسفة يسير في درب الحقيقة لا وصول لها وإلاّ تحولت إلى يقين "[1]

يرى "ديوي " أن مهمة التفكير هي أن يحل المشكلات التي أثارته[2] ، فلكل مشكلة ذات أهمية حقيقية متوقعة في المستقبل تفسير سواء بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى سلوك مستقبلي ،وإن التفكير التأملي الحقيقي يؤدي غرضا ما مفيدا ، حتى لو بدا الغرض من أول وهلة نظرياً خالصاً ، موجهاً إلى فهم مجال ما من مجالات المعرفة [3].

اعتبر "ديوي " أنه لا توجد معرفة حقيقية خارج الحقائق التي يتبعها منهج البحث العلمي في العلوم الطبيعية والظواهر الإجتماعية ، وأن كل استنتاج يجب أن يكون نابعا من التجربة والخبرة المباشرة للإنسان ، ولعل مذهب "ديوي" الذرائعي يرى أن الأفكار لها قيمة وسائلية تتعلق بحل المشكلات التي يوجهها الإنسان والتغلب على الصعوبات التي تعرقل تطوره [4].

يبدو التساؤل حول الخير الذي تحتله فكرة الحقيقة في فلسفة "ديوي" عامة ، أمر يبعث على الدهشة ولكنه تساؤل مشروع ، يجد سنده فيما ذهب إليه "راسل " من أن مسألة الحقيقة ليست ذات أهمية ، فنظرية " ديوي " في الحقيقة مرتبطة إلى حد بعيد بنظريته في البحث وهذا الارتباط بين الحقيقة والبحث مبني أساسا على رفض فكرة الحقيقة المستقلة ، و "ديوي " ك "جيمس " يزدري من الفلسفات التي تأخذ الحقيقة على أنها معطى ثابت ، بعيد عن الحاجات والأغراض الإنسانية ، كانت للبرجماتية نظرية تكوينية لما يقصد بالحقيقة ، فهي تكوينية لأن الحقيقة تقوم تدريجيا جراء البحث وليس بشكل مسبق عنه[5]. وقد جاهر "ديوي" بأن الحق هو النتائج الموفقة التي تترتب على

---

[1]- نصري هاني يحي : دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة ،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشروالتوزيع ، بيروت، ط1، 2002م، ص 348.

[2]- فؤاد كامل : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ،دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1993م، ص 119.

[3]- رايت وليم كلي : الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية ، تر: محمود سيد أحمد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط2، 2005م ،ص 213.

[4]-طه حسن جميل ، المرجع السابق ، ص 231.

[5]-جديدي محمد ، المرجع السابق ، ص 201 .

إعتاقه استنادا إلى أن الفكرة هي اقتراح لحل إشكال أو خطة لتغلب على صعوبة أي مشروع ، لتخلص من مأزق فهي في كل الحلات أداة للعمل، ولمقدار نجاحها في توجيه سلوك الإنسان بمقدار حظها من الصواب ، وعلى هذا فالحق هو التحقق من منفعة الفكرة بالتجربة ، ولا يمكن أن يكون شيئاً آخر[1]. يعود وينفرد وحده دون سائر البرجماتيين بما يسميه "المذهب الوسيلي " من الوسيلة وشرحه باختصار هو أن ليس هناك حقيقة قائمة بذاتها ، بل إنه سرعان ما يصبح حلقة في سلسلة فكرية جديدة . يراد بها حل إشكال جديد كما يبين لنا أن الفكر لا يكون فكراً إلاّ إذا كانت له علاقة وسيلية بما ليس فكرا ، كالسكين تقطع غيرها كذلك كل فكرة هي أداة ، وهي وسيلة تعالج شيء آخر[2].

تصور ويليام جيمس للحقيقة :

أما نظرية الحقيقة عند "جيمس" فتمثل لب النزعة البرجماتية وجوهرها وتمثل عنده القلب من الجسد ولقد عرض نظرية الحقيقة الخاصة بمذهبه في كتابهالبرجماتية ،في مقال بعنوان "معنى الحقيقة ".فماذا أضافت برجماتية "جيمس " إلى مسألة الحقيقة ؟ وماهي نظرية معنى الحقيقة عنده ؟

ويجيب "جيمس " على هذا التساؤل قائلاً : " **إن الشيء الذي تضيفه البرجماتية هو الجانب العملي في ما هو اِمتلاك واِمتحان الأفكار الصحيحة ، فهذه الأخيرة هي ما يتسنى لنا أن نقيم عليها الدليل فتمثلها وتدفع بمشروعيتها وصدقها وصحتها فتعززها ، توثقها ، تؤديها وتحققها ،أما الأفكار الباطلة فهي التي لا تستطيع فعل ذلك بالنسبة لها** " ، إن تحديد "جيمس" للإضافة التي جاءت بها البرجماتية في هذا الجانب العملي المقصود به هو النتائج التي سبق ل "بيرس" أن أشار إليها ، لكنها مع "جيمس " تأخذ بعدا آخر فزيادة على نتائج التحقق المباشر ،ا لتي تتمثل في السلوك الظاهر أو المنافع المادية ، إن إضافته تمحورت حول الاعتقاد وهي ذات وثيقية بالحقيقة

[1]– عبد العزيز محمد : القيم الفلسفية الكبرى ،مؤسسة الثقافة الجامعية ، دط، دس، ص 24 .

[2]–.نجيب زكي محمود ، المرجع السابق، ص 223.

ارتكزت على أسس سيكولوجية على عكس "بيرس" ، حيث تحول النقاش من ميدان الفلسفة إلى علم النفس .

بناءاً على هذا التلازم بين الحقيقي والنافع ، يذهب جيمس إلى القول بأن الحقيقة من صنع الأنسان فهي عنده تصنعه تماماً[1].

إذن فمعنى العلاقة المسماة "حقيقة " عند "جيمس" : هي العلاقة التي تحصل بين الفكر أو رأي أو عقيدة وبين موضوعها ، وتعني الاتفاق مع الواقع فيقول : " **الحقيقة صفة أو خاصية لبعض أفكارنا ،فهي تعني اتفاقها مع الواقع تماماً ، مثلما يعني الباطل اختلافها معه** "، ومعنى هذا أن الحق عند "جيمس " هو اتفاق الفكر مع الواقع الذي تتفق معه الفكرة أو تختلف.

فليس الحق صفة راكدة لاصقة للعبارة التي نصفها بهذا الوصف ، بل هو قابلية العبارة لأن تكون أداة للسلوك فهي حق و إلاّ فهي باطل ، وكما يقول "جيمس ": " **إن امتلاك أفكار صحيحة تعني في كل مكان امتلاك أدوات للعمل والأداء تقدر بثمن** "[2]، وهذا القول يمكن التعبير عنه بعبارة أخرى كما عبر عنه جيمس : " **إن الحق هو ما كان الاعتقاد فيه أفضل من انكاره ، أفضل بالنسبة إلى طرائق سلوكنا في الحياة العملية الواقعة** "[3].

يرى " ويليام جيمس " أن معيار الحقيقة إنما هو النجاح ، ومعنى هذا أن الفكرة الصادقة هي الفكرة الناجعة المفيدة ، فقد ذهب " ويليام جيمس " إلى أن صدق الفكرة ليس خاصية محايثة لها عديمة النشاط ، بل الصدق حادثة بها تصير الفكرة صادقة . فهي تكتب هذا الصدق بواسطة عمل تحققه لكي تتحقق به ، ويعني التحقق هنا بعض النتائج العملية التي تؤدي إليها الفكرة والتي تتجلى في صورة اتفاق بين الفكرة والواقع عن طريق الأعمال أو الأفكار التي تثيرها لدينا ، بحيث يمكننا أن

[1]- مجموعة من الأكاديميين العرب : الفلسفة الغربية المعاصرة ، منشورات الإختلاف ، ج1، ط1، الجزائر ،2013م ، ص 40.

[2]- زكريا إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 37.

[3]- نجيب زكي محمود ، الحياة الفكر في العالم الجديد، المرجع السابق ، ص 147.

نقول إن تحقق الفكرة هو الوظيفة التي تقوم بها عندنا ترشدنا إلى عمل من الأعمال ، وأن الأفكار الصحيحة هي الأفكار التي تكون وسيلة إلى عمل من الأعمال التي تفيدنا [1].

نرى هنا أن معنى هذا هو أن الحقيقة عنده تنظر دائماً إلى الأمام ، وهو بهذا يتفق مع "بيرس" في أن الحقيقة ليست سابقة على الفعل لكنها تأتي بعد الفعل لاحقة عليه ، فهي حدس يطرأ على التجربة ولذا فالحق أو الصدق لا يكون قبل النزول إلى معترك الحياة والعمل بل هو يطرأ عليها عندئذ فتصبح حقاً أو صدقاً حين نلمس أثرها الناجح في ميدان السلوك ، بمعنى أن الأحداث العملية وحدها هي التي تجعلها صادقة أو باطلة .

فالصدق يحدث للفكرة وهذا الصدق ذاته يتولد من الأحداث لأن صحة الفكرة مرهونة بحادث أوعمل ، يقول " جيمس" : " إن الأفكار الصحيحة هي تلك الأفكار التي نستطيع هضمها وتمثيلها ودمغها بالمشروعية وتعزيزها وتوثيقها وإقامة الدليل عليها ، والأفكار الخاطئة هي تلك التي لا نستطيع ذلك معها ، هذا هو الفرق العملي الذي يحدث لنا إذا كانت لدينا أفكار صحيحة " [2].

إذا كان الحق عند "جيمس" يعني اِتفاق الفكر مع الواقع ، فالحق هو ما يعيننا على المرور في هذا الواقع والسير فيه وتشكيله والسيطرة عليه ، فليس يعنينا أن ننظر إلى العالم أو الواقع كما هو ونتأمله بذهننا أو نرسم صورة مطابقة له ، ولكن ما يعنينا هو التغلب على المشاكل التي تقابلنا والسيطرة على قدراتنا ، ولذا فالمقياس هو ما ينتج من أثار نافعة تجعلنا نشبع رغباتنا ونحقق طموحنا وأهدافنا ولذا فالحق هو المفيد ، والمفيد الذي يساعدنا في أساليب حياتنا ، ومن ثم يمكننا أن نقول عن هذه الفكرة أنها صادقة لأنها نافعة أو أنها نافعة لأنها صادقة ، فهاتان القضيتان معاً تحملان على الدقة المعنى نفسه ،أو كما يقو "جيمس" :" إن الحقيقي في أوجز عبارة ليس سوى الموافق النافع المطلوب في سبيل مسلكنا "[3].

[1]-اليعقوبي محمود : الوجيز في الفلسفة ، دار الكتاب الحديث ، دط ، الجزائر ، 2005م ، ص 349.

[2]- ويليام جيمس ، المصدر السابق ، ص 352.

[3]- ويليام جيمس ، المصر السابق ، ص 353.

فالحقيقة عند " جيمس " شيء يصنع مثل الصحة و الثروة و القوة خلال تجربتنا ، ويؤكد أن الحقيقة الموضوعية لا وجود لها ولا يمكن العثور عليها، والسبب في أننا نسمي الأشياء حقيقية هو السبب في أنها حقيقة ، أي لأننا عددناها كذلك بحسب تحقيقها لما نريد من أفعال [1].

أما الحقيقة المطلقة عنده : " هي الحقيقة التي لن تغيرها أي تجربة ، هي النقطة المثالية ، التي نتخيل أن كل حقائقنا ستتلاقى فيها ذات يوم، ليكن هذا في وسع الإنسان المستنير تماماً أن تتصوره التجربة الكاملة تماماً ، وإذا تحقق هذا المثل الأعلى المزدوج ، فسيحقق كلا الأمرين معاً ، وبنفس العملية لكن إلى أن يتحقق هذا لا بد لنا أن نعيش اليوم على ما نستطيع امتلاكه فيما يخص اليوم حقاً ، مع استعدادنا أن نعترف بأن ما هو حقيقة اليوم قد يصبح خطأ غداً "[2].

من هنا نجد أن "جيمس" يعتقد بوجود حقائق متعددة بل ملايين الحقائق لأنه كان يرى أن كل ما يعتقد الفرد بأنه حقيقة فهو كذلك ، ولذلك فلقد كان يؤمن إيمانا راسخاً بوجود حقائق كثيرة بعدد الأفراد الموجودين في العالم .

مما سبق نحن نرى أنه يمكننا القول أن الحقيقة عند " جيمس " ذاتية ، ليست هدفاً أو غاية ، وهي لا تتعدى أن تكون طريقاً لإشباع حاجات أخرى أشد حيوية ، فهي خطة للعمل أو مشروع له يترتب عليه أن تكون لها نتائج مثمرة ، وذلك لأن الحقيقة عند " جيمس" شيء يصنع مثل الصحة و الثروة و القوة ، وبعبارة أخرى: أن " جيمس" يرى أن مقياس أو معيار الحقيقة هو نجاح الفكرة عملياً، فالفكرة تكون صادقة أو ناجحة ، متى حققت أثاراً أو نتائج عملية مفيدة .

[1]- بدوي عبد الرحمن : مدخل جديد إلى الفلسفة ، ص 146.

[2]– بدوي عبد الرحمن ، المرجع نفسه ، ص ص 145،146.

المبحث الثاني / الحقيقة الدينية عند جيمس :

أولاً / إرادة الاعتقاد :

النقطة الأساسية في فلسفة "جيمس" الدينية هي "حق الاعتقاد " لكل شخص ، ويعد الاعتقاد هو الإيمان بشيء يمكن الشك فيه من ناحية نظرية أو هو الرغبة في العمل أي الاستعداد والتأهب للعمل ، وهو بداية كل موقف فلسفي وغير فلسفي ، وجاءت هذه النظرية في مؤلف"جيمس" "إرادة الاعتقاد" « The will to believe » ، والذي يعد أشهر مؤلف لدى "جيمس" .

ينطلق فيه مبيناً أن كل شخص له الحق المطلق في الاعتقاد والإيمان ، ذلك أن منطق العقل عاجز أن يثبت صحة كل شيء ، لهذا تكون رغباتنا ودوافعنا الذاتية هي الأساس في إثبات وتقرير صحة الأشياء التي لا يمكن للعقول إثباتها أو أن يبت بها ، فهناك إذاً طريقين للاعتقاد هما : طريق العقل ، وطريق الوجدان ، وهذا ما أوضحه جيمس بقوله :"إن اعتقادنا في بعض آخر منها أثر لمجهوداتنا العقلية "[1]، فمعتقداتنا إذاً لا يمكن لها أن تقتصر على طريق واحد فقط وهو العقل ، إنما هنالك طريق آخر تختلف طبيعته عن طبيعة العقل ، وهذا الطريق قد أطلق عليه " جيمس "تسميات مختلفة مثل الإرادة أو الوجدان أو الرغبة ، ولهذا فنحن لسنا موجدات عقلية محضة تتولد كل معتقداتنا عن اقتناع عقلي وبداهة منطقية ، بل إن عامل الاختيار هو الذي يحدد اعتقادنا إلى حد كبير ، ومعنى هذا أن طبيعتنا غير العقلية تؤثر بشكل واضح في معظم آرائنا ومعتقداتنا .

هاجم " جيمس "كل من فصل الإرادة والعقل عن العاطفة ، وانسجاماً مع نظرية داروون حول العواطف ، طابق الشعور بالجهد مع المشاعر الحسية الحركية للإرادة ، كما اختار الداروينية حول الارتقاء ، الذي تمارسه الأعصاب المصدرية الناقلة علة الأحاسيس القادمة ، للاختيار الذي توجهه الحركات أو الميول العاطفية الغريزية الانعكاسية الأساسية تلقائياً ، وأن الإرادة و العمل هما نفس الحركة النفسية المنبثقة على نحو غير مقصود من تكويننا الحركي التلقائي .

[1] – نبراس زكي جليل ، المرجع السابق ، ص 212 .

ثانياً / التجربة الدينية :

الاعتقاد في ميدان التجربة الدينية يكون حقاً إذا نجح روحياً ، بمعنى إذا حقق للنفس الطمأنينة وأعانها على تحمل تجارب الحياة ، واعتقد "جيمس في هذا المجال أن التجربة الدينية تتجاوز النوع المألوف بين التجارب الحسية التي تعود عليها في الحياة لكنها – حسب رأيه – تمثل التجربة والتي نفسرها مسترشدين في ذلك بنفس المنهج الذي أتبعناه بالنسبة إلى التجربة الحسية ، أي فكرة الفائدة أو المنفعة العملية المترتبة عليها ، التي ينبغي أن يجدها صحيحة تبعاً لمعيار الحقيقة الذي سبق ذكره [1] فإن عقائد الدين صحيحة تماماً في نظره ، وهو يرى أن سعي الحكم على الدين لا بشيء إلاّ بنتائجه ويعلن أنه لا يدري أن له مغزى ميتافيزيقياً أو لا ، ولكن المؤكد أنه على الأقل فرض خصب [2]،فالدين مهما كان فهو مجموع ردود أفعال الإنسان [3]، باعتباره المركز الداخلي واللب الجوهري للحياة الإنسانية .

يتضح لنا أن الدين الذي نادى به "ويليام جيمس" في كتابه " صنوف التجربة الدينية" هو دين فردي شخصي يرفض كل عقلانية ، وهنا نجده يقف وقفة سلبية من الفلاسفة العقلانيين ، ورجال اللاهوت اللذين أرادوا أن يضفوا على الدين صبغة عقلية ، لذلك فهو يرى أن كل محاولاتهم قد باءت بالفشل ولا أمل فيها على الإطلاق ، ويعد موقفه هذا هو إقرار أن الدين في جوهره أمر شخصي ، والحق أن هناك صور من التجربة الدينية بعدد المتدينين ، فالدين يتصل بالحياة وكل ما يعيش بحسب مزاجه الخاص وبمقتضى مواهبه الخاصة ، وعلى هذا النحو جاءت دراسته للدين دراسة سيكولوجية تعطي لكل فرد فهو خاص للدين ، ورؤيا تختلف من شخص إلى أخر .

[1]– بدوي عبد الرحمن ، المرجع السابق ، ص 150.

[2]–بوشنسكي .إ.م : الفلسفة المعاصرة في أوربا ، تر: عزت قرني ، عالم المعرفة ، الكويت ، دط، 1992، ص 160.

[3]– موريس تشارلز : رواد الفلسفة البرجماتية ، تر : إبراهيم مصطفى إبراهيم ، دار المعرفية الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، دط، 2011، ص135.

كما جعل من أنواع الخبرة الدينية تشير إلى وجود خزانات محددة ومتنوعة للطاقات البشرية بالوعي التي مكننا إقامة علاقة معها أثناء أوقات المشاكل والإضرابات ولمس شيئاً ما أساس في أذهان الدينيين ويزودهم بالأقل بمادة دفاعية لا تعيش في حالة صراع مع العلم والمنهج العلمي [1].

فالدين في المنظور العلمي يعد أمر فردي في جوهره ، وتجربة داخلية تختلف من شخص إلى لآخر، إلى الحد الذي تشكل فيه هذه التجربة استثناء يميز متديناً من آخر ، وعلى هذا الأساس نجد أن التجربة الدينية فكرة صحيحة وناضجة ما دامت تحقق نتائج فرضية لحياة الفرد ، وتؤثر على نفسية المتدين بالطريقة الوحيدة التي تستطيع من خلالها الحكم على التجربة الدينية باعتبارها صحيحة تكمن في اختيار اعتقادية فعالة ومدى نجاحها وفعاليتها في الحياة .

الهدف الحقيقي للتجربة الدينية هو تخليص الفرد من الخوف، وذلك بسعيها نحو تحقيق السعادة النفسية وتطهير النفس عبر الالتحام بالله.

إن الدين الحقيقي عند "جيمس" هو الذي يترك أثاراً حسنة تحقق السعادة والطمأنينة في حياة الفرد وبهذه النتيجة يوضح بأن المتدين هو القديس ، ومتى ما كانت هذه الانفعالات ذات آثار حسنة على الحياة ، كان تدينه حسناً ومجزياً.

كما يذهب إلى أن القداسة لها مظاهر عديدة ومختلفة ومن مظاهرها حب الله والوفاء إليه ، وصفات القلب و الإخلاص والطاعة ، والفقر ، وكذلك الشعور بوجود حياة أخرى أكثر سعة من هذه الحياة التي نعيشها ، مما يترتب على ذلك بوجود قوة عليا والشعور بالخضوع لها [2].

ثالثا / الاعتقاد بوجود الله :

يعتبر " ويليام جيمس" أن فكرة الله فكرة صحيحة إذا كان مفعولها يسري في سلوك الفرد وإذا كانت تعمل على إضفاء جانب إجابي في هذا السلوك، لذلك يجوز للفرد أن يؤمن بفكرة الله و أن يعتبر فرض الله فرضاً صحيحاً ، وقد قال "جيمس" في هذا الخصوص :" إذا كان فرض الله يعمل

[1]- نبراس زكي جليل ، المرجع السابق ، ص ص 222،223.

[2]-بوترو أميل : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، تر : أحمد فؤاد الأهواني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، دط ، 1973م ، ص 247.

إكفاء ورضا في أوسع معاني الكلمة ، فهو فرض صحيح ، ومهما تكن الصعوبات المختلفة منه ، فالخبرة تومئ إلى أن الفرض يعمل إكفاء ورضا ، ما في ذلك أدنى ريب ، و إن المشكلة هي بنائه وتحديده وتصميمه وإنجازه بحيث يلتحم إلتحاماً يتسم بطابع الكفاية والإرضاء في مقومات الحقائق العامة الأخرى"[1] ، ففكرة الله على هذا النحو لا تتجلى قيمتها بذاتها أو بحثها معاني أو ألفاظ مجردة أو دلائل منطقية وإنما قيمتها بتأثيرها على السلوك ، وقد أشار " جيمس " إلى ذلك بمكان آخر بقوله :"و أيا ما كان فهنالك تصورات خافته معتمة الصورة بحيث إن قيمتها كلها تتمثل في وضيفتها مثل الله ، العلة ، الجوهر ، النفس ، فهي لا تزودنا بصورة ما محددة ويبدو أن معناها يتوقف على اتجاهها الذي تتجه ، و على مدى تأثيرها في سلوكنا وتفكيرنا فأننا لا يمكن أن ننصرف إلى تأمل أشكالها كما نفعل في " الدائرة و الإنسان " ، بل ينبغي أن تتخطى إلى ما وراءها "[2].

و كان يتساءل هل الله موجود ، فرفض دعوى أن اللاأدريين الذين يقررون أنه لا يحق لنا أن نؤمن بشيء ليست عليه بينة منطقية كافية ، إن العقلاء من الناس يحاولون تجنب الخطأ ويسعون إلى بلوغ الحد الأعلى من الحقيقة لكن هناك مسائل لا جواب عنها بواسطة دليل الحاضر ، لكن يحق للناس مع ذلك أن يعتقدوا فيها إيجابية ، و يؤكد "جيمس" أن مسألة وجود الله هي من هذا النوع أي ليس عليها دليل منطقي حاضر ، لكن لنا الحق بالإيمان بوجود الله ، إن هذه المسألة تمثل مسائل من أهمية الفرد ، قيمة الحياة ، وجود الحرية ، الإرادة الإنسانية ، ويقرر "جيمس" أن في وسع الناس أن يؤمنوا بأمور لأسباب عاطفية بالرغم من إنتفاء الدليل العقلي عليها [3].

فالإله الحقيقي هو الذي يصنع من أفعال الفرد وليس ما تمليه عليه الأدلة المنطقية والعقلية ، كما أنه ميز بين فكرة المطلق التي ترى أن العالم كله يجب أن يكون وحدة متينة تحدد الكل ، كل عضو فيه على ما هو عليه إذ تميل الواحدية إلى اعتقاد أن جميع الأشياء تميل عن ماهية الله [4].

---

[1]- ويليام جيمس ، المصدر السابق ، ص ص 347،348.

[2]- ويليام جيمس : بعض مشكلات الفلسفة ، تر : الشنيطي محمد فتحي ، المؤسسة المصرية العامة للطباعة والنشر ، القاهرة،دط ، 1962م،ص 58

[3]- بدوي عبد الرحمن ، الموسوعة الفلسفية ، المرجع السابق ، ص 449.

[4]-نبراس زكي جليل ، المرجع السابق ، ص 229.

لا يقتصر "جيمس " على القول بأن الله يعيننا ويشد من أزرنا بل هو يذهب أيضاً إلى أن الله بحاجة إلينا كما نحن في حاجة إليه : " إني لست أرى ما يمنع أن يكون وجود العالم اللاهوتي للتوقف إلى حد ما على وجود أفعالنا الشخصية بالنسبة إلى مؤثرات الفكرة الدينية ، وفي هذه الحالة ليس ما يمنع من أن نقول أن الله نفسه يستمد من ولائنا وإخلاصنا عظمة وجوده ومقومات بقائه ، ومعنى هذا أننا بإيماننا بالله تؤدي لله أجل خدمة و أعظمها ، إذ ساهم ذلك في تثبيت دعائم ذلك العالم المثالي "

لكن هل يكون معنى ها أن الله مجرد فكرة يخلقها الإنسان لتقوية عزيمته بحيث يكون الله مجرد معين للإنسان أو مجرد خادم أمين له ؟ أم أن نقول أن إله "جيمس" هو مجرد لغة ومثال ليقرب الله من مقولة المثل الأعلى .

يبدو أن " جيمس" قد تصور الله على هذين النحوين معا ، فيجعل منه حيناً معيناً وخادم ، وفي حين آخر يجعل منه مجرد مثل أعلى ، ولكن إله "جيمس" ليس مجرد صديق ومعين وخادم فحسب ، بل هو رفيق المطالب دائم الحاجات لأنه يفرض علينا دائماً وأبداً واجبات جديدة ومهمات كثيرة، باعثا فينا حولها جواً من العواطف والمخاطر من شأنها دائماً أن يستخدمها [1].

وتعرض "جيمس " أيضاً لمسألة صفات الله فهو يذهب إلى أن هناك الكثير من المسائل التي تخص الله لا يمكن بحثها وبيانها وهذا هو خلق بين صفات الله الميتافيزيقية والأخلاقية دون أن يبحث في الأصل الخاص لهذه التفرقة ، أما الصفات الأخلاقية لقد استمدها من طبيعة الإنسان بأنه اعتقد بأن الله و الإنسان من طبيعة واحدة ، وإن الاختلاف في الدرجة فحسب [2] ، فالإله الذي يعتقده هو إله طبيعي وليس ميتافيزيقي .

أعطى "جيمس" صفتين جوهريتين إلى الله و بهذين الحقيقين هما القوة والعلم ، ومن خلالها يمكن النظر إلى الله على أنه شخصية مغايرة للإنسان ويمكن النظر إليه بصفته إله له كيانه الخاص الذي

[1]-زكريا إبراهيم ، المرجع السابق ، ص 52.

[2]_نبراس زكي جليل ، المرجع السابق ، ص 231.

يختلف به عن الإنسان ، وهذا يتم عن طريق الإحساس وقد أعرب "جيمس " بقوله : " لابد أن يتصور الإله ، أولاً أعظم قوة في العالم ولا بد أن يتصور ثانياً شخصية عامة مدركة ... و إذا ما صح لنا أن ننظر إليه كشيء خارجي" ، فإن الإله يعتبره ككل شخصية أخرى موضوعاً خارجياً مغايراً لشخصيتنا ، ويعرض لنا وجود الخارجية فنحس به وندركه ، فيمكن أن نعرف الإله بأنه قوة مدركة مغايرة لقوانا ولا تتوجه نحو ما هو خير فحسب ، بل الخير مأخوذ في مفهومه أيضاً [1].

[1]-زكريا إبراهيم ، المرجع نفسه ، ص 53.

مناقشة الفلسفة البرجماتية :

قبل أن نبدأ في المناقشة ، لا ينبغي أن نأخذ رموز هذه الفلسفة حقهم ، بل علينا أن نشيد بهم، وبتطويرهم للفكر ، فمن مزايا البرجماتية نظرتها الواقعية الملحوظة ، فقد أدركت أن الحقيقة التي يمكننا بلوغها ليست أكثر من حقائق إنسانية يجوز عليها الخطأ و التغيير شأنها في ذلك شأن كل شيء إنساني . كما أدركت أن كل فلسفة هي موقف من أجل العمل وليست أفكاراً أكاديمية خاصة عاجزة فالدلالة الحقيقية لأية قضية لا تكمن إلاّ في تأثيرها على توجيه الحياة فإذا كان الشيء هو ذلك الذي تفعله ، فإن الفلسفة هي تلك التي تجعلك تفعله ، فالبرجماتية تتبع من هذه النظرة العينية الواقعية ، متجنبة التجريدات و الألفاظ الرنانة ، وكافة الفلسفات السلبية . وبذلك فإن آراءها تجعل من الناس قوماً نشيطين من أجل الخير ، عمليين في نظرتهم للأمور ، مصممين على تغيير الأشياء لا على تحملها فهي تساعد النّاس على العيش بقوة وتفاؤل وديناميةٍ ، فهي فلسفة تقدم ، تعمل على إقامة الفاعلية الأصيلة للإرادة الإنسانية ، وتقف إلى جانب التحقيق الممكن لمثلنا العليا ، فإذا ما عشنا وعملنا من أجلها ، فإن أفعالنا تحيلها إلى واقع [1]، ومع هذه المزايا إلاّ أن هناك بعض الملاحظات النقدية الهامة منها ماله علاقة بالنواحي الفلسفية ، ومنها ماله علاقة بالدين ومبادئه ، وقواعد الاخلاق العامة .

أولا / مناقشة البرجماتية من المنظور الفلسفي :

فمن المنظور الفلسفي نجد أن أهم مبدأ تقوم عليه البرجماتية هو القطيعة مع الماضي ، وعدم الِالتفات إليه ، و أن على البرجماتي أن يدير ظهره بكل عزم وتصميم وإلى غير رجعة لعدد كبير من العادات الراسخة المتأصلة العزيزة على الفلاسفة المحترفين [2].

وفي الوقت نفسه نجد البرجماتيين ينطلقون في أفكارهم من منطلقات فلسفية قديمة نادى بها كبار الفلاسفة فمثلاً الفيلسوف " بروتاجوراس 481 . 411 ق م " يقول في قاعدته المشهورة " **الإنسان**

[1]–مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 83.

[2]-ويليام جيمس ، المرجع السابق ، ص 71.

مقياس الأشياء جميعا " ، وهو نفس المبدأ البرجماتي الذي يجعل الحقيقة نسبية وتختلف من شخص لآخر ، بحسب ما تحققه له من فائدة ونفع ، وساهم كل من " سقراط " و " أفلاطون " في تكريس مبدأ التركيز على التجربة ، بوصفها مكوناً ضرورياً من مكونات المعرفة ، الأمر الذي كان موضع تركيز كبير من جانب البرجماتيين المعاصرين ، كما ساهم "أبيقور" " 341 . 280 ق م " وتلاميذه في الإبتعاد عن القول التقليدي بالصدق المطلق أو الحقيقة المطلقة ، ذلك أن الحقيقة الفلسفية بالنسبة لهم هي تلك التي تحقق وظيفة عملية لإصلاح حال المعتقد بها[1].

كما أن الفلاسفة " أوغسطين " و " دانز سكوت " و" بيكون " و "كوبرنيق " و " جاليليو "كل منهم قد ساهم بنصيبه في مجال الملاحظة و التجربة ، التي هي أساس المذهب البرجماتي[2]، و إن لم يكن أحد منهم براجماتيا .

وبهذا نجد أن الفلسفة البرجماتية تناقض نفسها في البعد عن الماضي والإدعاء بالجدة والحداثة ، وفي نفس الوقت تكرر أقوال فلاسفة قدامى وتتبنى آراءهم ، مما يؤكد أنها في حقيقتها مجرد إعادة للنظرة الرواقية القديمة التي ينادي مؤسسها بمتابعة الفطرة ، والعيش وفق الطبيعة ، بإعتبار أن الدساتير والنظم الاجتماعية إنما هي من وضع الإنسان وصنعه لا غير ، مضافاً إليها الروح النضالية الحديثة [3] .

إن تعليق الحكمة هنا في مظهرها العملي ، أي على النجاح في ذاته بصرف النظر عن إصابة الهدف . تجعل من المجتمع غابة من الوحوش الضارية يأكل بعضها بعضاً إذ تتنافس على " التفوق " و " الغلبة " ولا تتفق إرادتها على تحقيق أي قيمة من القيم الفاضلة كالحق والعدل والإيثار وغيرها من الفضائل الإنسانية الثابتة في ذاتها .

يرى "وليام جيمس" أن " الحق " إنما هو فرض عملي ، أي مجرد أداة يختبر بها " تصوره " السابق ويرى أن الحقائق تنقسم إلى قديمة وجديدة .و الصواب الذي يتفق عليه أغلب الفلاسفة: " أن الحق يستمد قيمته المطلقة من قيمته الثابتة خارج مقولتي (الزمان) و (المكان) . ونراه أيضًا يخلط خلطاً

[1]- مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 41.

[2]- المرجع نفسه ، ص ص 45،49.

[3]-توماس هنري : المفكرون من سقراط إلى سارتر ،تر: عثمان نوية ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، دط ، 1970م ، ص 327.

معيباُ بين المبادئ والأهداف ، حيث يصبها في قالب " المنفعة " ، بينما التفكير السليم يقتضي العكس ، أي الإيمان بالفكرة والعقيدة أولاً عن اِقتناع وتثبت بقيمتها الذاتية ، ثم السعي بمقتضاها مهما قابلنا في طريقنا من صعوبات ، فضلاً عن افتقاد " المنافع " ، وهذا هو منهج الأنبياء والرسل عليهم السلام .

يقول الدكتور توفيق الطويل في تقييم هذه الفلسفة " ويكفي أن تعتبر البرجماتية الحق أو الخير كالسلعة المطروحة في الأسواق ، قيمتها لا تقوم في ذاتها بل في الثمن الذي يدفع فيها فعلاً ، فالحق فيما يقول جيمس كورقة نقد تظل صالحة للتعامل حتى يثبت زيفها ، ولم يجد أصحاب البرجماتية غضاضة في النظر إلى الحق أو الخير كما ينظرون إلى السلعة التي تطرح في الأسواق ، هذه هي العقلية الأمريكية في الفلسفة وفى الأخلاق وفى السياسة وفى كل مجال "[1].

ونضيف إلى ذلك أن هذه الفلسفة كانت ملهمة للنظام الرأسمالي ، القائم على مبدأ المنافسة الحرة. ثم ظهرت مساوئه عند التطبيق واستفحلت أخطاره التي تتضح كما صنفها فؤاد زكريا في ثلاثة :

أ– اللاأخلاقية : بالرغم من التقيد ببعض الفضائل كالأمانة والانضباط والدقة ومراعاة المواعيد ولكنها ـ كفضائل ـ ليست مقصودة لذاتها ، ولكنها تفيد الرأسمالي في تعامله مع الغير، فالحق لذاته باطل لذاته ـ بصرف عما يترتب عليهما من وجوه النفع أو الضرر[2].

ب ـ الارتباط الوثيق بالحرب : عندما تكون نتائجها في صالح الطرف الآخر ، بغض النظر من الممارسات اللاإنسانية والأذى والتشرد والضرر الذي يقع جزاء تلك الحروب .

ج ـ الانحرافات السلوكية : و أخطرها سلوك الاجرام ، وعصابات القتل المنظم ، وغسيل الاموال ، وتجارة المخدرات ، وفتح الباب على مصراعيه للمنافسات والصراعات .

[1]– سليمان صالح الخراشي ،نقد الفكر الغربي ، 1435هـ ، http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/19.htm

[2]– الطويل التوفيق : مذهب المنفعة العامة في الفلسفة الأخلاق ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط1، 1953م ، ص 259.

إمتازت الفلسفة البرجماتية عن الفلسفة القديمة بالمبدأ التجريبي وتتبع النتائج والوعي الواقعي ، إلاّ أن هذا الإمتياز ليس جديداً ، فإن المذهب التجريبي قد نشأ على أيدي الفلاسفة المسلمين الذين أخضعوا الفلسفة اليونانية الذهنية للتجربة العملية ، وتحديداً على يد الفيلسوف والعالم الكيميائي "جابر بن حيان" الذي يؤكد بأنه يقصر على مشاهداته التي تجيء التجربة مؤيدة لها ، إذ قد تكون الظاهرة المشاهدة حدثا عابرا لا يدل على إطراد في الطبيعة وكذلك الحال في استنباط النتائج واستقرائها التي تغنى بها الغربيون كثيرا ، وعدّوها من إنجازاتهم الفكرية الغير المسبوقة[1].

أما فيما يخص مجال الحقيقة فإن البرجماتية لا تقدم لنا بحثاً إيجابياً عن الحقيقة ، إذ أنها مجرد منهج لإكتشاف الأفكار الخاطئة ، وهي التي ليست لها آثار عملية ، وهذا منهج سلبي لا إيجابي ، لأنها لا تهدف إلاّ إلى إستبعاد الأفكار الخاطئة تلك التي لاتكون لها هذه الأثار العملية ، والإستبعاد منهج سلبي للكشف عن الحقيقة و ليس إيجابياً بحال من الأحوال .

لا شك في أن الحقيقي نافع على نحو ما ، إلاّ أن ذلك لا يستتبع القول بأن المنفعة هي أساس لتعريف الحقيقة ، فالحقيقي نافع لأنه " حقيقي" قبل أي إعتبار للمنفعة ، و قد ذهب بعض الباحثين إلى القول بأن المذهب البرجماتي يعرف الحقيقة بأنها ما يفي بالحاجة ، غير أن أول ما نحتاج إليه عندما نبحث عن الحقيقة هو ألا نكون براجماتيين ، ومعنى ذلك أن القاعدة الأساسية التي نضعها عندما نشغل أنفسنا بالكشف عن الحقيقة هي أن نصرف كل إعتبار للمنفعة ولو تطرق الشك إلى نفوسنا و آمنا بشيء لأننا بحاجة إلى هذا الإيمان ، لفقد الإيمان إذن كل قيمة له ، ومرة أخرى نقول : أن الحقيقي ناغع لأنه حقيقي ، ليس حقيقياً لأنه نافع " .

إن " جيمس " ومعه بقية البرجماتيين يلعبون لعبة خاسرة مع الحقيقة . فهو إذ يجعل من الحقيقة حقنا الإستمرار في الإعتقاد بما ينفعنا ، إنما يرفض مفهوم الحقيقة بأسره ، إن وضع الفكرة ذات النتائج المرضية مكان مفهوم الحقيقة معناه فتح الباب لأي خيال لذيذ ، فماذا يمكن أن يرضي

[1] – الحجيلي منصور عبد العزيز : البرجماتية عرض ونقد ،1431هـ. http://aqeeda.org/book/el - pragmatije.pdf

الإنسان أكثر من إستمراره في الإعتقاد بأنه ذكي بينما هو في الواقع أبله ؟ إن العالم ملئ بالكثير من السخف الذي سيتشعر معه الإنساس قسطاً من المتعة [1].

أما تطبيق النظرية البرجماتية عن الحقيقة في مجال العلم ، وما ذهب إليه "ويليام جيمس " والبرجماتيون من أن قضايا العلم قضايا حقيقية لأنها مفيدة عملياً ، فيبدو نسفاً للحقائق العلمية من أساسها ، إن قبول نظرية معينة وإعتبارها صحيحة بدون برهان ولمجرد أنها نافعة أو أنها ترضينا من ناحية ما، هو نقيض الموقف العلمي تماما. إن الفرض المرضي فحسب هو في أغلب الأحيان أقرب الفروض إلى الخطأ.

الدين لم يسلم أيضا من التفسير النفعي فلسفياً في ضوء الفلسفة البرجماتية ، حيث إن شرط اعتبار وجود الدين وأصوله ونشأته لا أهمية لها عند من يسأل عن قيمة الدين ، لأن قيمته فيما ينتجه[2] . و هذا ما سنتناوله فيما يلي :

ثانيا : مناقشة البرجماتية من المنظور الديني :

وضعت الفلسفة البرجماتية التي قعّد عليها "ويليام جيمس " أساساً عملياً أقام دعائم أقوى حضارة مادية في عصرنا الحاضر إلاّ أنها قد أغفلت جانبا مهماً يكفل دوام الحضارات و استمرارها ، ألا و هو الجانب الروحي المتمثل في الإيمان بالله تعالى والانطلاق من شرعه وجعلة منهاج الحياة ودستورها . ذلك الشرع الذي يعلمنا كيفية توظيف سنن الله الكونية لنعمر بها الأرض وننشئ بها دعائم الحضارة على أساس من سنن الله الشرعية .

إن العالم الغربي قد أفاد إفادة تامة من السنن الكونية التي وضعها الله سبحانه تعالى في الكون وعليها أقام الغرب حضارته . إلا إن الكثيرين منهم قد أغفلوا تماماً جانب السنن الشرعية وأسقطوها من حسابهم ، وأنكروا وجود الله تعالى ، و كفروا بكل دين بعد كفرهم بالنصرانية ومعتقداتها التي في

[1]– مهران محمد ، المرجع السابق ، ص 77.

[2]- بوترو أميل ، المرجع السابق ، ص 247.

جانب منها مناقضة للعقل ومخالفة للمنطق ، وقد تسبب سلوك رجل الدين النصارى من قبل في تخلف الشعوب الأوربية عن ركب الحضارة.

لم تحد البرجماتية عن هذا الأساس الذي انطلقت منه سائر المذاهب والاتجاهات الفكرية في الغرب فهذه المذاهب- ومنها البرجماتية- قد وضعت أصلاً لتكون منهجاً بديلاً عن النصرانية التي عطل رجال الدين فيها في القرون الوسطى الجانب العلمي والعملي في حياة الناس ، فأخذت البرجماتية على عاتقها توظيف هذا الجانب ؛ من أجل تطوير الحضارة البشرية .

وفيما يلي نقد لأهم ما ورد في البرجماتية من مبادئ.

يبدأ " ويليام جيمس " آراءه الدينية بقوله : " **إن الذي يكون صميم الدين ليس الطقوس ولا الفرائض ولا المعتقدات بل الذي يكون صميم الدين العاطفة والشعور الديني ، بل إنه يخضع الإيمان بالله والاستدلال على وجوده لذلك الشعور ، وأن الأفكار اللاهوتية متى ما أثبتت أن لها قيمة في الحياة المحسوسة فهي أفكار صحيحة** "[1].

هذا الرأي غير مقبول إطلاقاً ، حيث أن الإيمان لا يتوقف فقط على العاطفة ، ذلك أن العاطفة و الوجدان عواطف متقلبه دائماً ، وبالتالي فمن هذا المنطلق فإن الإنسان سوف يؤمن عندما يكون في حالة مزاجية عاطفية وجدانية ، ويعود إلى الإلحاد عندما تتغير حالته المزاجية ، وقطعاً الإيمان ليس كذلك ، إنما هو صرح يقوم على أسس عقائدية يؤمن بها الإنسان ويلتزم بها ، لأنها من عند الله عز وجل ، ولن تكون إلا في صالحه .

[1]- ويليام جيمس : البرجماتية ، المصدر السابق ، ص 96.

قال ابن كثير : أخبر تعالى عن صفة المؤمنين المستجيبين لله ورسوله ، الذين لا يبغون دينا سوى كتاب الله وسنة رسوله [1] .فقال :" **قَوْلَ اَلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى اَللهِ وَ رَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا وَ أُولَئِكَ هُمُ اَلْمُفْلِحُونَ** " [النور : 51] .

إضافة لكون مجرد إخضاع الدين و الأوامر الإلهية للتجربة للحكم بصحتها أو عدمها ، يعتبر مشاركة الله تعالى في خلقه مما يتنافى مع الوحدانية التي هي لله تعالى في خلقه مما يتنافى مع الوحدانية التي هي لله تعالى ، فهو الأحد الفرد الصمد الذي لم يكن له كفوءاً أحد ، وهو الذي يعلم ما كان وما يكون وما لم يكن كيف يكون .

إن مجرد التفكير في إخضاع الدين للتجربة هو شك في صحته ، والدين لا يقبل شكاً ، فلا يجوز الجمع بين الشك و الإيمان ، لأن أمور الإيمان تتجاوز الحس ولا تدخل في مجال التجربة ، والمؤمن الحق لا يضع عقيدته موضع الشك ، ولا يجعل إيمانه بالله تعالى موضع إختبار ، بل على العكس تماماً ، يؤمن بأن الله عز وجل يختبر عباده .

قامت الفلسفة على أساس أن المعيار في بيان صحة الأعمال وحسنها إنما يكون من خلال النتائج المترتبة عليها ، فأخضعت كل شيء لمبدأ " النفعية " ، وجعلت النتيجة هي معيار الحكم على حسن ذلك العمل و الأخذ به ، أو قبحه وتركه ، وقد طبقوا ذلك المبدأ على الدين ، فأصبح الدين نافعاً في بعض الأحوال مما لا يمكن اِستبدال غيره به [2] ،وفي هذا يقول " برتراند راسل" : لا يقنع مؤمناً مخلصاً إيمانه ، لأن المؤمن لا يطمئن إلا متى اِستراح إلى موضوع عبادته و إيمانه ، إن المؤمن لا يقول : إني إذا آمنت بالله سعدت ، ولكنه يقول : إني أومن بالله ومن أجل هذا فأنا سعيد ....إن الإعتقاد بوجود الله في نظر المؤمن الصادق مستقبل عما يحتمل أن يترتب على وجوده من نتائج و آثاره [3] .

[1]– ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط، دس ، ص 257.

[2]–بورنو أميل ، المرجع السابق ، ص 247.

[3]–براتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، تر: الشنيطي محمد فتحي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ،القاهرة ،دط، 1994م ، ص 475.

تنكر البرجماتية وجود حقائق موضوعية وقيم مطلقة ، وتؤكد أن الحقيقة هي إكتشاف شيء جديد وليس إكتشاف شيء موجود ، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل [1] .

وهذا نسف تام لكل القيم الأخلاقية التي هي من صميم التركيبة الإنسانية ، ولها أصول ضاربة في الأعماق ، كما أنه إنكار للقيم و المباديء التي أقرها الشرع ، وجهلنا الحكمة منها ، لقصور معرفتنا مع إعتقادنا بأن الخير كل الخير يكمن فيها .

إن التحديد " الخير" يكون من الشرع ، وليس من الإنسان فقد يقر الشرع أمراً يرى الحق فيه ، و يرى الإنسان لقصوره أن فيه شراً ، بينما هو في حقيقة الأمر " خير" .

إن إقامة المجتمعات على موازين الكسب و الخسارة وحدهما ، كفيل بهدم تلك المجتمعات ، إذ كانت العلاقة التي تقوم بين أفراده لا تقوم إلاّ على أساس المصلحة والكسب المادي ، فكم من علاقات أخرى تقوم على الإيثار والتضحية وحب الخير لذاته ، وهي التي تكفل تحقيق السعادة للمجتمع ، لأن التعاطف و التعاون هما الرائدان في حركة المجتمع الإنساني ، وإلاّ تحول غابة من الغابات التي يأكل فيها القوي الضعيف ومن الصعب إقناع النفوس بأعمال الخير ، التي لا تقوم على المال ، إلاّ بناءاً على عقيدة إيمانية راسخة ، تحقق أعمالاً إبتغاء مثوبة الله تعالى وجنته ، وكم في الإسلام من أعمال خيرة يحض عليها ، ويحث على فعلها لتحقيق أفضل حياة إنسانية ممكنة على ظهر هذه الأرض [2] ، مع عدم وجود المنفعة الظاهرة حالياً ، حسب مفهوم البرجماتية .

[1]–الطويل توفيق : المرجع السابق ، ص 261.

[2]–حلمي مصطفى : الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث ، دار الدعوة للطبع والنشر ، القاهرة ، ط1998،1 ، ص 214.

خاتمة :

بعد دراسة البحث دراسة متأنية ودقيقة وصلنا إلى أن الفلسفة البراجماتية هي من أهم البحوث التي أخذت مساحة واسعة ضمن الدراسات الفلسفية ،وجاءت للتعبير عن عصرنا العلمي من بعض وجوهه، فهي ألزم المدارس لأن المذهب البراجماتي يبين اتجاهات الفلسفة المعاصرة فهو ليس واحد منها وكفى بل هو ركيزة رئيسية، تلتقي حول أطرافها وأركانها دراسات فرعية كثيرة، كما أنها قامت على جملة من المبادئ تتمثل في أنها فلسفة تجريبية عملية ذات نزعة فردية تنكر الحقائق المطلقة والقيم الثابتة، وتنظر إلى المنفعة باعتبارها هي المعيار الذي تحاكم إليه المعارف والأفكار والقيم، وتركز على المستقبل وتقاطع الماضي بما فيه، رغم ارتباطها وتأثرها بعدد من الفلسفات التاريخية .

البراجماتية بشكلها الحالي تهتم بمسألة الحقيقة التي تعتبر جوهرها ومحورها وموضوعها الأهم فهي تمثل الأرضية الفكرية التي انبثقت منها، فعلاوة على ذلك صارت الفلك الذي تدور حوله الفلاسفة البراجماتيين، فهي تتكون من مجموعة فروض حيث يعتبر الفرض خاطئا إذا رفضته التجربة وصحيحا إذا لم ترفضه، فأخذت البراجماتية بمبدأ المنفعة على أنه أساس لتعريف الحقيقة حيث ان المعيار في الصدق والحقيقة يكون الحق حقا إذا كان نافعا و إذا لم يكن نافعا فهو ليس بحق، فالمنفعة العملية هي مقياس الحق من الباطل والصدق مرادف لها، وهذا الطابع الغالب على الفلاسفة البراجماتيين، وخاصة وليام جيمس لكونه اللسان المعبر عن هذا المذهب حيث قال إن الوفاء والجزاء والأرباح التي تجلبها الأفكار الصحيحة وهي العلة الوحيدة لواجبنا في اتباعها وأفكارنا ومعتقداتنا تصرف مادام لا يتحداها شيء مثلما تصرف "أوراق النقد"، فالأكار الصحيحة التي يتسنى لنا تأييدها هي التي نقيم عليها الدليل، بينما الأفكار الباطلة على العكس من ذلك هي لايتسنى لنا تحقيقها فهو ميز نوعين من الصدق في القضايا صدق قائم على مدى تطابق القضية مع الواقع الخارجي، فتكون في حالة تطابق صحيحة وغير ذلك كاذبة ثم صدق آخر قائم على السعي لإمتلاك الحقيقة نفسها والإستفادة منها عمليا حيث تصبح الحقيقة هنا كامنة لما تؤديه من أعمال وليس في طبيعتها المجردة، وهذا هو معنى الحقيقة لدى جيمس.

ومن هنا نستطيع القول أن البراجماتية لا تحمل في طياتها أية قيم أخلاقية أو إنسانية إذ ليس فيها مجال لهاتين القيمتين، فأساس التعامل بين الأفراد هو المصلحة والمنفعة بينهم، كما تنظر إلى الدين أيضا من خلال المنفعة التي تنتج عنها بغض النظر عن مقاصده الشرعية ومعانيه السامية فهي فتحت الباب لتطبيق شريعة الغاب وإن يسحق القوي الضعيف حتى يحقق المنفعة، ويكون لعمله أثر ونتيجة فالحقيقة عندهم نسبية متغيرة بحسب الزمن و الأشخاص.

-القرآن الكريم

المصادر و المراجع:

1-إبراهيم زكريا : دراسات في الفلسفة المعاصرة ، مكتبة مصر ، القاهرة ، دط، دس.

2-إبراهيم ياسين: مدخل إلى الفلسفة العامة ، دار مكتبة الإسراء للطبع والنشر والتوزيع ، قاهرة ،ط1، 2005م .

3-ابن كثير : تفسير القرآن الكريم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط ، دس .

4-إلف بارتون بيري: أفكار وشخصية ويليام جيمس ،تر :علي العريان ، دار النهضة العربية ، بيروت ، دط، 1965م.

5-الأهواني أحمد فؤاد : جون ديوي ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، دط، 1968م.

6-باترو إميل : العلم والدين في الفلسفة المعاصرة ، تر : الاهواني أحمد فؤاد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ،دط ، 1973م .

7-بدوي عبد الرحمن : مدخل جديد إلى الفلسفة ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، ط1، 1975م.

8-برتراند راسل : تاريخ الفلسفة الغربية تر : شنيطي محمد فتحي ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، دط ، 1994م .

9-بوشنسكي .إ.م : الفلسفة المعاصرة في أوربا ، تر: عزت القرني ، عالم المعرفة ، الكويت ، دط، 1992م.

10-توفيق الطويل : مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق ، مكتبة النهضة المصرية ، مصر ، ط1، 1953م

11-توماس هنري : مفكرون من سقراط إلى سارتر ، تر : عثمان نوية ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، دط، 1970م

12-الجابري علي حسن: الفلسفة الغربية من التنوير إلى العدمية، دار المجدلاوي للنشر و التوزيع، عمان الأردن، ط 1، 2007 م.

13-جديدي محمد : فلسفة الخبرة ، المؤسسة الجامعية للدراسة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2004م

14-جعنيتي نعيم حبيب، الفلسفة و تطبيقاتها التربوية دار وائل للنشر و التوزيع ، عمان ، الأردن ، ط 1، 2004 م.

15- ديوي جون: التجديد في الفلسفة تر: أمين مرسي، قنديل ، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة، د ط، 1947 م.

16-حسن محمد سليمان : دراسات في الفلسفة الأوروبية ، محفوظة علاء الدين ، دمشق ، سوريا ، ط1، 1961م

17-حلمي مصطفى : الفكر الإسلامي في مواجهة الغزو الثقافي في العصر الحديث ، دار الدعوة للطبع والنشر ، القاهرة ، دط، 1998م .

18-الحنفي حسن: مقدمة في علم الاستغراب،الدار الفنية للنشر و التوزيع،القاهرة،د ط،1991 م.

19-الخوري أنطوان: أعلام التربية (حياتهم وآثارهم) ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، دط، 1964م .

20-رايت وليم كلي : الفكر التربوي المعاصر وجذوره الفلسفية ، تر : محمود سيد أحمد ، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط2، 2005م.

21-زيدان محمود فهمي: ويليام جيمس، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية، مصر، ط1، 2005.

22-سماح رافع محمد: المذاهب الفلسفية المعاصرة ، مكتبة مدبولي ، ط1، القاهرة ، مصر ، 1973م .

23-شوقي جلال:العقل الأمريكي، الهيئة المصرية العامة، للكتاب، القاهرة، مصر، د ط، 2010 م.

24-طه جميل حسن: الفكر التربوي المعاصر، دار المسيرة للنشر و التوزيع و الطباعة، عمان ، الأردن، ط 1، 2007 م.

25-عبد الحفيظ محمد: الفلسفة و النزعة الإنسانية، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الإسكندرية، د ط، 2006 م.

26-عبد الراضي إبراهيم محمد عبد الرحمن : دراسات في فلسفة التربية المعاصرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، مصر ، ط1، 2002م.

27-عبد العزيز محمد : القيم الفلسفية الكبرى ، مؤسسة الثقافة الجامعية ، دط، دس .

28-عطيتو حسن جميل، مدخل إلى الفلسفة و مشكلاتها ، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط 1، 2003 م.

29-فام يعقوب : فلسفة البراجماتيزم ،دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ط2، 1985م

30-كامل فؤاد : أعلام الفكر الفلسفي المعاصر ، دار الجيل ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1993م .

31-الكحلان حسن محمد: الفلسفة التقدمية، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، د ط، 2003 م.

32-كرم يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط 5، 1969 م.

33-مبروك أمل : مفهوم الحقيقة ، دار المصرية للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ،دط ،2008م .

34-مجموعة من الأكاديميين العرب : الفلسفة الغربية المعاصرة ، منشورات الاختلاف ، ج1، ط1،الجزائر ،2013م.

35-المرهج عبد الهادي: الفلسفة البرجماتية، دار الكتب العلمية، لبنان/ د ط، 2008 م.

36-مصطفى النشار: مدخل جديد إلى فلسفة، دار قباء للطباعة و النشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 1990 م.

37-مهران محمد: مقدمة في الفلسفة المعاصرةن دار قباء للطباعة و النشر، القاهرة، مصر، د ط، 2004 م.

38-موريس تشارلز : رواد الفلسفة البرجماتية ، تر: إبراهيم مصطفى إبراهيم ، دار المعرفية الجامعية ، الإسكندرية ، مصر ، دط ، 2011م

39-نبراس زكي جليل: فلسفة الدين، منشورات الصنفاف، بيروت، لبنان، ط 1، 2012 م.

40-نجيب زكي محمود :حياة الفكر في العالم الجديدن دار الشروق، بيروت، لبنان،ط 2،1892 م.

41-نجيب زكي محمود: قصة الفلسفة الحديثة، دار المعارف، مصر، ط 5، 1969 م.

42-نجيب زكي محمود: من زاوية فلسفية، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط 4، د س.

43-نجيب زكي محمود: نافذة على الفلسفة العصر، مطبعة حكومة الكويت، د ط، 1990 م.

44-نصري هاني يحي: دعوة للدخول في تاريخ الفلسفة المعاصرة، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت ، ط 1، 2002 م

45-هادي أحمد قيس: دراسات في فلسفة العلمية و الإنسانية، مكتبة المنصور، بغداد، العراق، ط 1، 1999 م.

46-هنتر ميد: الفلسفة أنواعها ومشكلاتها ، تر: فؤاد زكريا ، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط2، 2005م

47-هويدي يحي : قصة الفلسفة الغربية ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، مصر ، دط، 1993م.

48-ول ديورانت : قصة الفلسفة من أفلاطون إلى جون ديوي ،تر : فتح الله المشعشع ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ط5، 1988م .

49-ويليام جيمس: إرادة الاعتقاد، تر: محمود حب الله، دار الإحياء الكتب العربية، القاهرة، د ط، 1946 م.

50-ويليام جيمس: البرغماتية،تر:محمد علي العريان، دار النهضة الغربية، القاهرة، مصر،د ط،1965 م.

51-يافوت سالم : المناجي الجديد للفكر الفلسفي المعاصر ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1999م

52-يعقوبي محمود : الوجيز في الفلسفة ، دار الكتاب الحديث ، الجزائر ، دط، 2005م .

معاجم وموسوعات :

53-مذكور إبراهيم :المعجم الفلسفي ،معجم اللغة العربية ، القاهرة ، دط ، 1983م.

54-طرابيش جورج : معجم الفلاسفة ، دار الطليعة ، بيروت ، لبنان ، ط3، 2006م.

55-صليبا جميل :المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني ، دمشق ، سوريا ، ج1، دط ، 1992م.

56-الرئيس شارل الحلو : موسوعة أعلام الفلسفة العرب و الأجانب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ج1، ط1، 1992م

57-رالف –ن-وين : قاموس جون ديوي للتربية ، مختارات من مؤلفاته ، تر: محمد علي العريان ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة ، دط، 1964م .

58-جمال هشام : قاموس الفلاسفة ، دار الخطابي ، البيضاء ، ط1، 1991م

59-الجراد خلف : معجم الفلاسفة المختصر ، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر ، بيروت ، دط / 2007م .

60-بدوي عبد الرحمن : الموسوعة الفلسفية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، دط ، 1984م .

مواقع إلكترونية :

61- http://aqeeda.org/book/el - pragmatije.pdf

62-http://www.saaid.net/Warathah/Alkharashy/m/19.htm

تشارلز ساندرس بيرس (1893م – 1914م)

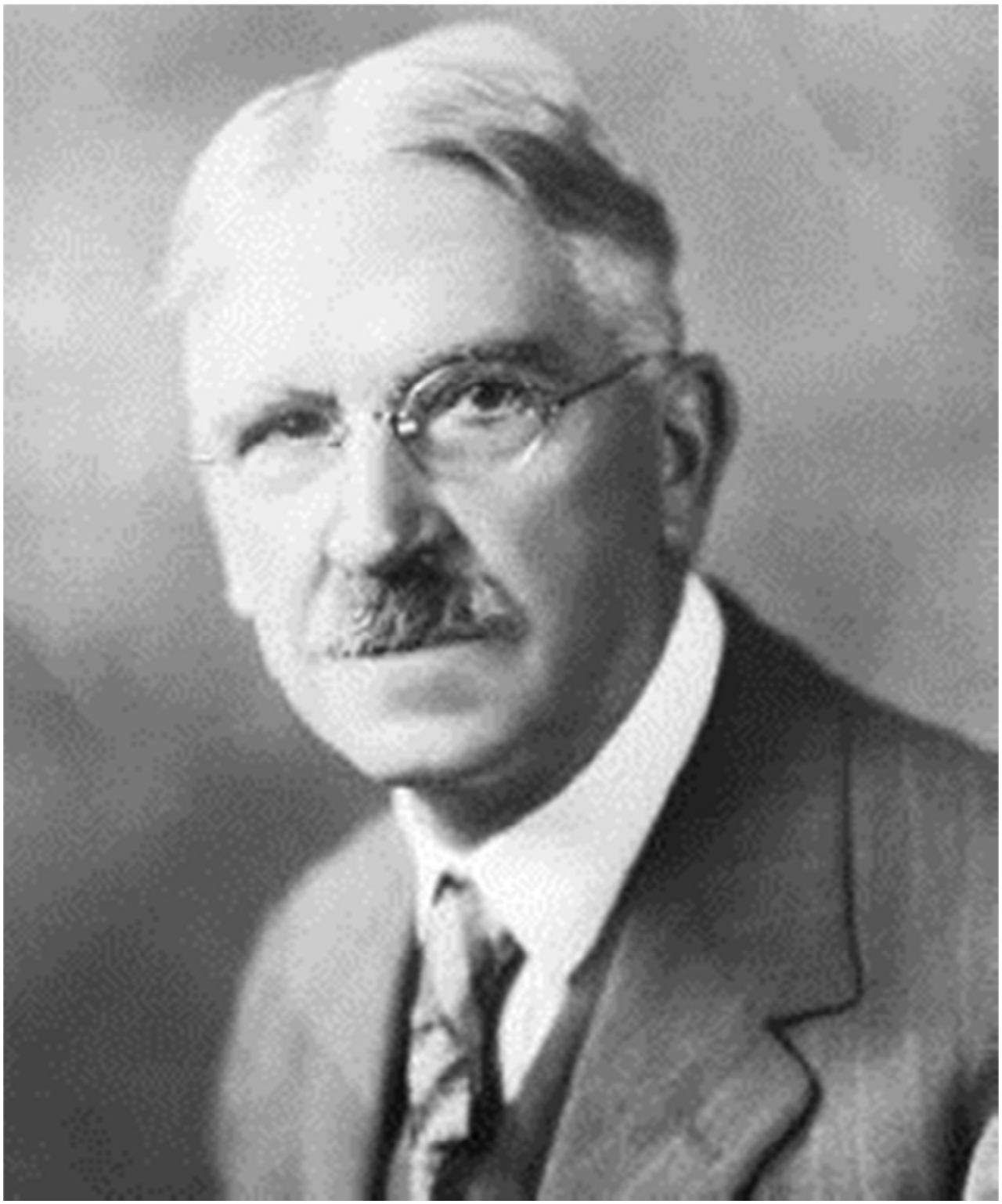

جون ديوي (1859م – 1952م)

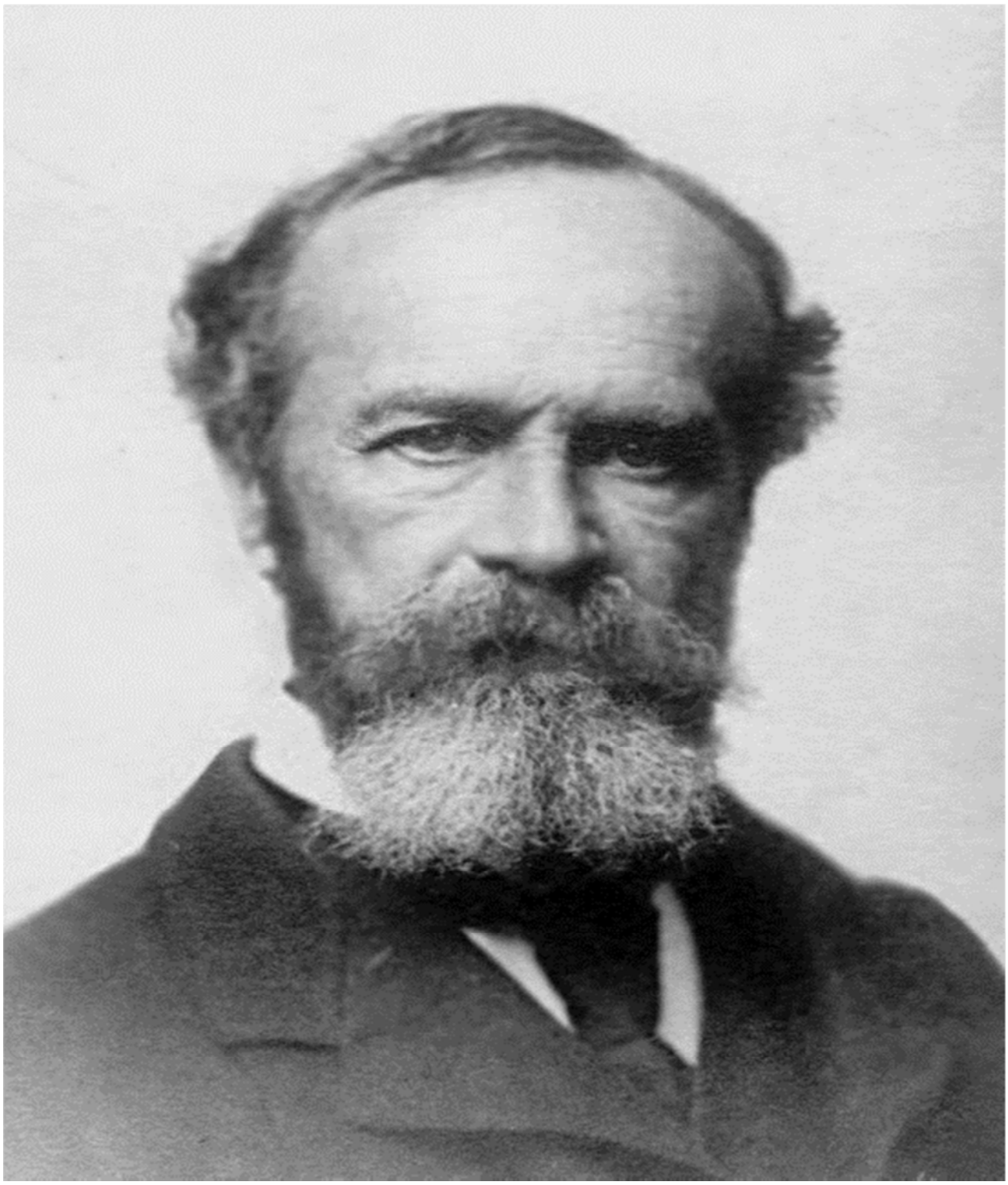

ويليام جيمس (1842م–1910م)

أفلاطون 428_427 ق.م	فيلسوف يوناني، كلاسيكي يعتبر مؤسس الأكاديمية أثينا، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو .	18-14
أرسطو 384_328 ق.م	فيلسوف يوناني تلميذ أفلاطون ومعلم اسكندر الأكبر وواحد من العظماء المفكرين وهو واحد من مؤسسي الفلسفة الغربية .	18-14
أبيقور 341_270 ق.م	فيلسوف يوناني قديم وصاحب المدرسة الفلسفية سميت باسمه الأبيقورية .	14
أوغسطين 430_354 ق.م	كاتب وفيلسوف من أصل نوميدي لاتيني يعتبر أحد الشخصيات المؤثرة في المسيحية الغربية .	53
برغسون هنري	فيلسوف فرنسي من أصل يهودي إنجليزي ولد في باريس 1959، وتخصص في العلوم الرياضية والطبيعية، ويعتبر أكبر فيلسوف في فرنسا .	22
بروتاغوراس	هو زعيم الفكر السفسطائي القرن الخامس قبل الميلاد وأفكار بروتاغوراس كانت هي أساس أفكار السفسطائيين .	14
فرانسيس بيكون 1626_1561	فيلسوف إنجليزي، مؤسس المدرسة المادية الحديثة والعلم التجريبي،قال إن مهمة العلم دعم سيادة الإنسان على الطبيعة والسبيل إلى ذلك التعلم الذي يكشف عن الأسباب الواقعية .	53
فرانسيس هربرت برادلي	فيلسوف إنجليزي ولد في جلاسيري في يناير سنة 1846، درس في جامعة إكسفورد وكان أستاذًا للفلسفة وفي السنة التي مات فيها أي في سنة 1924.	22
غاليلوا غاليلي 1642_1564	عالم الطبيعة والفلك، إيطالي ونصير النظرة العلمية والأثر ضد عبادة أرسطو وضد النزعة المدرسية إكتشف قانون القصور الذاتي ومبدأ النسبية في الحركة ومهد السبيل للعلم التجريبي.	53

تشارلس برناردو رينوفييه	فيلسوف فرنسي بنى فلسفته على الأساسين كراهيته لكل شيء فقال إنه لا يمكن معرفته، وإعتماد مايصل إليه في إدراكه الشخصي ويسلم بمذهب كانط.	22
ماركس 1818-1883	مؤسس الشيوعية العلمية وفلسفة المادة الجدلية والمادية التاريخية والإقتصاد السياسي العلمي وزعيم ومعلم بروليتاليا العالمية .	39
ليبنتز 1646-1717	أحد الفلاسفة العقلانيين في القارة الأوربية في عصر النهضة وفيلسوف ألماني عبقري قام بإسهامات عامة في تقدم المنطق الرمزي .	36
كانط 1724-1804	فيلسوف ألماني في القرن الثامن عشر كان آخر الفلاسفة المؤثرين في الثقافة الأوربية الحديثة وكان آخر فلاسفة عصر التنوير .	07
ديكارت 1596-1650	فيلسوف فرنسي وعالم رياضيات وطبيعة ووظائف أعضاء، ويعتبر مؤسس المذهب العقلاني النابع من الفهم الأحادي.	36

1- البسملة .

2- كلمة شكر .

3- الإهداء .

مقدمة .....(أ،ب، ج،د،هـ)

الفصل الأول : كرونولوجيا المفهوم

المبحث الأول : مفهوم البرجماتية

– تعريفها لغة و اصطلاحاً 07

– مبادئ و أنواع البرجماتية 09

– نشأة البرجماتية و جذورها التاريخية 11

المبحث الثاني : أبرز رواد الفلسفة البرجماتية

– تشالرز ساندرس بيرس 16

– ويليام جيمس 21

– جون ديوي 26

الفصل الثالث : الحقيقة البرجماتية عند جيمس

المبحث الأول : المفهوم البرجماتي للحقيقة

– المفهوم الاصطلاحي للبرجماتية 32

- تصور الحقيقة عند البرجماتيين 33

- تصور تشارلز بيرس للحقيقة 35

- تصور جون ديوي للحقيقة 38

- تصور وليام جيمس للحقيقة 41

المبحث الثاني : الحقيقة الدينية عند ويليام جيمس

- إرادة الاعتقاد 45

- التجربة الدينية 46

-الاعتقاد بوجود الله 47

الفصل الثالث : مناقشة الفلسفة البرجماتية

- مناقشة البرجماتية من المنظور الفلسفي 52

- مناقشة البرجماتية من المنظور الديني 56

خاتمة 61

قائمة المصادر والمراجع 64

ملاحق :

فهرس الأعلام 72

فهرس المحتويات 78